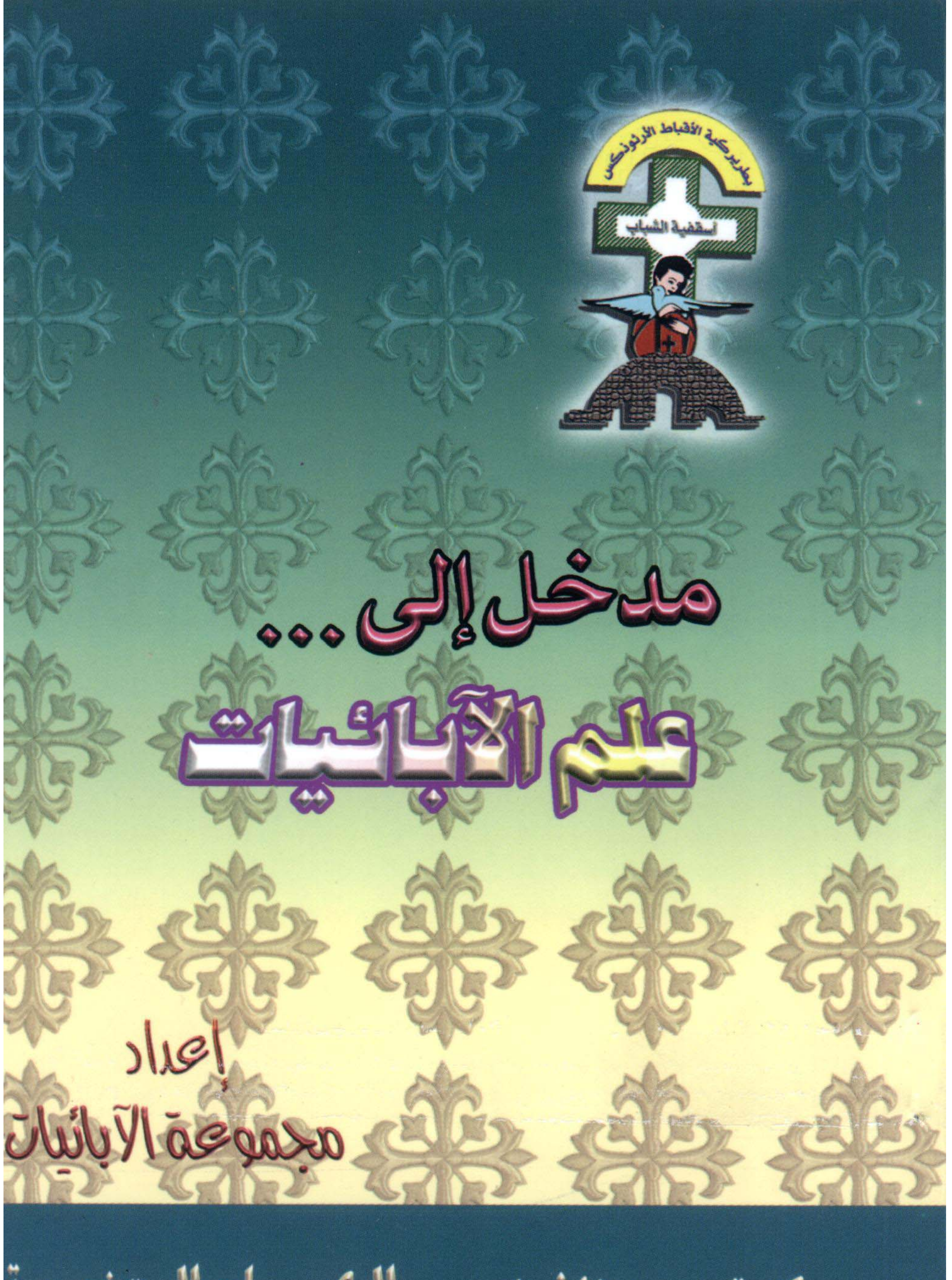


مركز تدريب الخدام - الكورسات المتخصصة

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

أسقفية الشباب

مركز تدريب الخدام

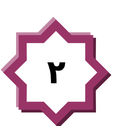
الكورسات المتخصصة

الآبائيات

إعداد

د. جوزيف موريس فلتس - أ. جورج عوض

الكتــــاب: مــــدخل إلى الآبائيـــات.
إعـــــداد: الكورســـات المتخصصـــة.
الناشــــر: مكتبــة أسـقفية الشـباب.
الطبعـــة: الأولى - يونيــــه ٢٠٠١.
المطبعـــة: دار الجيـــل للطباعـــة.
رقـم الإيـداع:





نشكر ا من أجل خدمة "الكورسات الصيفية للشباب والخدام"، حيث تنامى عدد المشاركين فيها من ٣٢٤ عام ١٩٩٨ إلى ١٩٨٠ عام ٢٠٠٠.

كما ازدادت أيضاً الكورسات، وأضيف إليها الجديد هذا العام فأصبحت ١٥ كورس وهى:

١- كتاب مقدس.
٢- عهد قديم.
٣- آبائيات.
٤- طقوس.
٥- تاريخ كنيسة.
٦- لغة قبطية وألحان.
٧- تربية وعلم نفس.
٨- تربية أسرية.
٩- قيادة وإدارة.
١٠- مكافحة إدمان وإيدز.
١١- تنمية المجتمع.
١٢- مشاركة وطنية.
١٣- تنمية ثقافية.
١٤- تنمية إقتصادية.
١٥- خدمة المكتبات.

ولديك فرصة أن تشترك فى واحد أو أكثر منها حسب ظروفك.

وقد تم الإفتتاح يوم الجمعة ٢٠٠١/٦/٢٩ وسوف يتم حفل توزيع شهادات التقدير يوم الأحد ٢٠٠١/٩/١٦.

وقد صدر من هذه الكورسات كمادة مطبوعة :

١- كيف ندرس نصوص الكتاب المقدس؟
٢- مدخل إلى تاريخ الكنيسة.
٣- مدخل إلى الآبائيات.
٤- مدخل إلى التربية الأسرية.
٥- مكافحة الإدمان والإيدز.
٦- مدخل إلى خدمة المكتبات.

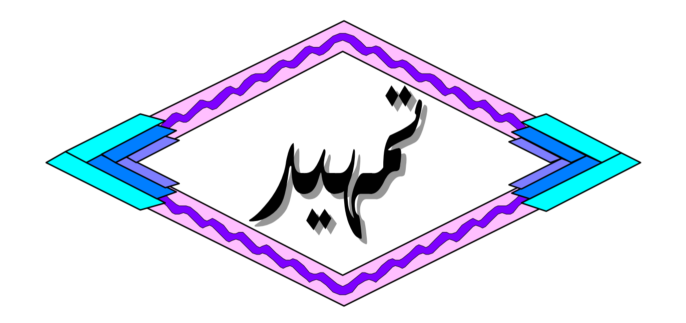
وإن شاء ا يصدر المزيد، ليكون مرجعاً بين يدى القارئ الحبيب.

الرب يبارك كل الجهود بصلوات راعينا الحبيب قداسة البابا شنوده الثالث، وأحبار الكنيسة الأجلاء،

ونعمة الرب تشملنا جميعاً،

الأنبا رافائيل
الأسقف العام

الأنبا موسى
أسقف الشباب



آباء الكنيسة هم الذين ساهموا منذ العصور الأولى للمسيحية فى تحديد مضـمون الإيمـان وصـياغته وشرحه حتى استقر الإطار الذى أجمعت عليه الكنيسة فى مجامعها المسكونية حتى نهاية القرن الخـامس الميلادى.

وآباء الكنيسة هم الذين حفظوا هذا الإيمان الذى تسلمته الكنيسة من الرب نفسه والذى كرز به الرسـل كما يعبر القديس أثناسيوس قائلاً: "*الإيمان أعطاه الرب... كرز به الرسل... حفظه الآباء*"[☆].

ونظراً لهذه المكانة العظيمة للآباء فى حفظ الإيمان، وأهمية كتاباتهم كمصدر للعقيدة المسـتقيمة، فقـد اهتمت الكنيسة بتعريف أبنائها بهذا التراث الغنى.

وفى هذا الإطار نظمت أسقفية الشباب ضمن دورات الدراسة الصيفية - دورة دراسية خاصة عن آبـاء الكنيسة.

وهذا الكتيب يشمل، نصوص المحاضرات التى تقدم فى هذه الدورة والتى يقوم بتدريسها أبناء الكنيسـة المتخصصون فى هذا العلم، الباحثون بالمركز الأرثوذكسى لدراسات الآباء بالقاهرة، كما يتضمن نصوصـا للآباء، معلمى الكنيسة الكبار، تتناول تعاليمهم فيما يخص بألوهية الإبن، وألوهية الروح القدس، وطبيعـة السيد المسيح.

الرب قادر أن يستخدم هذه المحاضرات لمجد اسمه القدوس ولنشر فكر وتعاليم الآباء الكبار، بصـلوات أبينا المحبوب قداسة البابا *شنوده الثالث* راعى النهضة الآبائية الحديثة فى الكنيسة وشـريكيه فـى الخدمـة الرسولية الحبرين الجليلين الأنبا موسى والأنبا رافائيل اللذين يشجعان كل محاولة تبذل ليعم المنهج الآبائى بين الشباب.

وللثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس المجد والإكرام من الآن وإلى الأبد.

د. جوزيف موريس فلتس

دكتوراه فى العلوم اللاهوتيةباحث بالمركز الأرثوذكسى لدراسات الآباء

بالقاهرة

[☆] رسالة القديس أثناسيوس الرسولى إلى سرابيون (١:٢٨).



المحتويات



أيقونة يونانية لآباء مجمع نيقيه القديسين وهم
يحملون نصف قانون الإيمان باللغة اليونانية





د. جوزيف موريس فلتس

أولاً: من هم الآباء :

جرت العادة منذ وقت قديم جداً على تسمية معلّمى الكنيسة ومؤلفى الكتابات المسيحية الأولى بإسم "آباء الكنيسة". وفى الأزمنة القديمة كانت تطلق كلمة أب على "المعلم". ففى الإستعمال الكتابى وفى العصر المسيحى الأول يعتبر المعلّمون هم آباء لتلاميذهم. فمثلاً يقول الرسول بولس: "لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس لكم آباء كثيرون. لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل" (١كو ٤:١٥). والقديس إيرينيئوس Ireneus أسقف ليون فى القرن الثانى يعلن "حينما يتعلم شخص من فم شخص آخر فإنه يسمى إبناً للذى علّمه والذى علّمه يدعى أباه"[1].

ويقول كليمندس الإسكندرى (١٥٠-٢١٠م): "الكلمات هى ذرية النفس. ولذلك فإننا ندعو الذين علمونا، آباء لنا... وكل من يتعلم هو، من جهة الخضوع، إبن لمعلمه"[2].

وفى العصر المسيحى الأول كانت وظيفة التعليم خاصة بالأسقف. لذلك فقد أطلق عليه لقب "أب" فى البداية. ولكن الصراعات العقائدية فى القرن الرابع أحدثت تطورا فى استعمال لقب "أب" فصار استعمال لقب "أب" أكثر شمولاً وإتساعاً، إذ امتد ليشمل كل الكتابّ الكنسيين مهما كانت درجتهم الكنسية. ماداموا يمثلون تقليد الكنيسة الحى ويعبّرون عنه. فأغسطينوس مثلاً يعتبر جيروم شاهداً للتقليد رغم أن الأخير لم يكن أسقفاً[3].

فالآباء معلموا العقيدة هم الآباء الذين ساهموا فى تحديد مضمون الإيمان أو فى صياغته أو شرحه، حيث المقصود بالإيمان ليس هو العقيدة فقط ولكن التقليد الذى استلمته الكنيسة من الرسل وما يعبر عنه القديس يهوذا فى رسالته بعبارة: "الإيمان المسلّم مرة للقديسين" (يهو ٣). وهو يشمل :

الإيمان بالمسيح إبن ا وكل العقائد المتصلة به وبالخلاص الذى تممه بالصليب والقيامة، كما يشمل عبادة الكنيسة فى الليتورجيات وخاصة ليتورجيا الإفخارستيا كما يشمل الحياة المسيحية الروحية الشخصية والجماعية والسلوك المسيحى.

فالحياة المسيحية هى أصلاً تسلّم تسليماً. وهذا التسليم هو التقليد بكل جوانبه العقائدية والليتورجية والروحية. فآباء الكنيسة هم معلمو الإيمان والعقيدة والحياة الروحية فى القرون الخمسة الأولى سواء كانوا أساقفة أم من غير

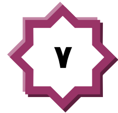
---

* عن كتاب "مدخل إلى علم الآباء" إصدار المركز الأرثوذكسى لدراسات الآباء بالقاهرة يوليو ٢٠٠٠.

[1] إيريناؤس : ضد الهرطقات كتاب ٤ فصل فقرة ٢.

[2] كليمندس الإسكندرى : المتنوعات ١:١، ٢-١٢.

[3] أغسطينوس : ضد يوليان (Cont. Jul.١،٧،٣٤).



الأساقفة أو حتى من المؤمنين العاديين الذين ساهموا فى تحديد مضمون وصياغة وشرح الإيمان حتى استقر فى الإطار الذى اجتمعت عليه الكنيسة فى مجامعها المسكونية حتى المجمع المسكونى الثالث المنعقد فى أفسس سنة ٤٣١م.

ويطلق فنسنت من ليرنز (Vincent of Lerins) ببلاد الغال (فرنسا) فى مذكراته (Commonitory) سنة ٤٣٤م، لقب "أب" على كل معلمى الكنيسة فى القرون بدون تمييز بينهم بسبب الدرجة الكهنوتية فيقول:

"لو أثير سؤال جديد لم يكن قد اتخذ قرار بشأنه قبل ذلك، فينبغى عندئذ الرجوع إلى أراء الآباء القديسين وعلى الأقل إلى أولئك الآباء الذين - كل واحد منهم فى زمانه ومكانه الخاص - كانوا مقبولين كمعلمين يحظون بالإعتراف العام من الجميع بسبب أنهم ظلوا فى وحدة الشركة والإيمان. وكل ما وجد أن هؤلاء الآباء قد علّموا به، بفكر واحد وإتفاق تام، فهذا ينبغى أن يحسب أنه التعليم الحقيقى الجامع للكنيسة، بدون أى شك أو تردد" (فصل ٢٩)، "ولا ينبغى لمن يخلفونهم أن يؤمنوا بأى شئ سوى ما أجمع عليه القدماء من الآباء القديسين فى المسيح" (فصل ٣٣)[٤]. وهو يُرجع هذا المبدأ إلى الآباء القديسين الذين اجتمعوا فى مجمع أفسس المسكونى سنة ٤٣١. هذا المبدأ يبين الأهمية التى سبق أن أعطيت لوجود "برهان من الآباء" لصحة أى تعليم.

وقد جرى العرف على ضرورة توفّر أربع صفات فيمن يعتبرون "آباء الكنيسة" وهى :

١- أرثوذكسية العقيدة.　　　　　　٢- قداسة الحياة.

٣- قبول الكنيسة لهم.

٤- القِدمية أى أن يكون من أباء القرون الستة الأولى، وذلك حسب إيمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وشقيقاتها - الكنائس الشرقية الأرثوذكسية (السريانية والأرمنية والأثيوبية والهندية.. الخ).

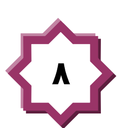
أما بقية الكتاب اللاهوتيين فى كل العصور فيطلق عليهم لقب "الكتاب الكنسيين" وهو تعبير نحته القديس جيروم (ايرونيموس) فى أواخر القرن الرابع فى كتابه مشاهير الرجال[٥].

تعتبر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية خمسة من الآباء أنهم آباء مسكونيين عظام وهم القديس أثناسيوس الرسولى والقديس كيرلس الإسكندرى (عمود الدين) والقديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس النزينزى (الناطق بالإلهيات) والقديس يوحنا ذهبى الفم. والكنيسة اليونانية تكرّم القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزى ويوحنا ذهبى الفم بإعتبار أن الثلاثة هم "المعلمون المسكونيون العظام" وتكرم معهم أيضاً القديس أثناسيوس. وكنيسة روما تعتبر أمبروسيوس وجيروم (ايرونيموس) وأغسطينوس وغريغوريوس الكبير أنهم "الآباء الأربعة العظام" فى الغرب. وفى الشرق تعتبر أن باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزى ويوحنا ذهبى الفم (أباء الكنيسة اليونانية) هم "المسكونيين العظام" وتضيف إليهم القديس أثناسيوس الرسولى.

---

(٤) Vincent of Le'rins. LNPN Fathers ٢nd series Vol.١١, Com. Chapter ٢٩ p١٥٤ & Chapter ٣٣ p.١٥٦.

(٥) جيروم : De viris ill. Prol.; Ep ١١٢،٣.



صفة القدمية :

والصفة الرابعة، صفة القدمية لا تعنى مجرد قدمية زمنية بل قدمية تقوم على الشهادة للإيمان المسلم من الرسل. وهذه الشهادة للإيمان الرسولى تتوفر لكل الكتاب الكنسيين الذين جاءوا بعد عصر تحديد وصياغة مضمون العقيـدة المسيحية المستقيمة، فيما يتعلق بالإيمان بالثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس وتساوى الأقانيم فى الجوهر، والإيمان بعمل ا الخلاصى بتجسد الإبن الوحيد وفدائه لنا، والإيمان بطبيعة المسيح الابن المتجسد (إتحاد اللاهـوت بالناسوت)، وكذلك الإيمان بألوهية الروح القدس. وصياغة العقيدة هذه هى التى ألهم بها الروح القدس الآباء معلمى العقيدة(٦) فى المجامع المسكونية الثلاث الأولى نيقية (٣٢٥م) والقسطنطينية (٣٨١م) وأفسس (٤٣١م). ولـذلك فإن الكنيسة فى تحليل الخدام لكى تدخل إلى ا فى عبادة القداس الإلهى التى تستلزم شركة الإيمـان الواحـد مـع الرسل والآباء، تأخذ الحل من الرسل الأثنى ومن فم القديس مرقس الرسول، ومن الآباء القديسين معلمـى العقيـدة البطريرك ساويرس، والبابا أثناسيوس الرسولى، ومعلمنا ديسقورس، وبطرس رئيس الكهنة والشهيد، ويوحنا ذهبى الفم، وكيرلس (الإسكندرى) وباسيليوس وغريغوريوس، ومن أفواه آباء مجمع نيقية (الـ ٣١٨) وآبـاء مجمـع القسطنطينية (الـ ١٥٠) وآباء مجمع أفسس (الـ ٢٠٠)، ومن فم بابا الإسكندرية ومن فم الكـاهن الـذى يصـلى التحليل[٧].

ولا تذكر فى هذا التحليل أية أسماء أخرى سواء من آباء البرية القديسين مثل القديسين الأنبا أنطونيوس والأنبـا مقار أب برية شيهيت وغيرهم من القديسين فى العصور المختلفة أو الآباء الذين لهم كتابـات بعـد القـديس سـاويرس بطريرك إنطاكية فى الربع الأول من القرن السادس، وذلك رغم قداستهم المشهود لها فى الكنيسة. بينما فى مجمع القـداس الذى يصلى قبل الترحيم تذكر الكنيسة بالإضافة إلى هؤلاء الآباء عدداً كبيراً من القديسين. فالآباء الذى تأخذ الحـل - فى تحليل الخدام - منهم هم الآباء شهود الإيمان الذين حفظوا العقيدة سليمة ودافعوا عنها أو اشتركوا فى صياغتها كما ذكرنا، وهؤلاء لهم تميزهم الخاص ويأتون بعد الرسل القديسين مباشرة فى تسليم الإيمان وحفظه والشهادة له كمـا يقول القديس أثناسيوس: "... الإيمان الذى هو من البداية والذى أعطاه الرب وكرز بـه الرسـل وحفظـه الآبـاء"[٨]. والمسألة هنا ليست مسألة قداسة أو خبرة روحية فقط، فلو كان الأمر كذلك لكانت والدة الإله العذراء القديسة مـريم، هى أجدر من جميع الرسل والآباء بأن تذكر فى تحليل الخدام.

التمييز بين الآباء معلمى العقيدة وبين الآباء الآخرين من الكتاب الكنسيين :

وهذا يجعلنا نميز بين "آباء الكنيسة" معلّمى الإيمان الذين حفظوا العقيدة سليمة وهم إمتـداد للرسـل القديسـين والذين قاموا بتوصيل إيمان الرسل إلى الكنائس وقاموا بشرحه وبتثبيته وقامواذ أحياناً بصياغة تحديـدات للعقيـدة

---

(٦) أنظر ما ورد عن إلهام الروح القدس للأباء فى صياغة مصطلح "أوموسيوس Ὁμοουσιος": المساوى فى الجوهر، نقلاً عـن كتـاب باترولوجيا مجلد (٦:١،٢٥) للبروفيسور س. بابا دوبولوس باللغة اليونانية أثينا ١٩٨٢، وذلك فى مقال "الآباء والعقيدة" للدكتور جوزيـف فلـتس دورية دراسات آبائية ولاوهتية، يناير ١٩٩٨، ص ٢٠-٢٣.

(٧) صلاة تحليل الخدام: أنظر الخولاجى المقدس.

(٨) أنظر رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس، الرسالة الأولى فصل ٢٨ ص ٨٢ إصدار مركز دراسات الآباء سنة ١٩٩٤.



تضمن سلامة الإيمان الرسولى من التحريف وحفظ المؤمنين من الوقوع فى فخاخ الهرطقات، نعم نميز بين هـؤلاء الآباء الذين اعتمدت كتاباتهم كمصدر للتعليم، وبين غيرهم من الآباء أو الكتاب الكنسيين، سواء كانوا من الشـيوخ الروحيين آباء البرية القديسين، أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس وغيرهم، أو كانوا مـن البطاركـة والأسـاقفة والكهنة والعلماء فى مختلف العصور بعد عصر المجامع المسكونية، الذين لم تعتمد كتاباتهم كمصدر للتعليم. ولكن ما تحتويه كتابات الكتاب الكنسيين من تعاليم وأفكار وتفسيرات وشروحات تتفق مـع عقيـدة الكنيسـة الأرثوذكسـية المستقرة منذ عصر المجامع المسكونية، وما يتفق مع منهجها فى العبادة والحياة الروحية والتوجيه المسيحى القويم فى السلوك والأخلاق، كل هذه تقبلها الكنيسة كامتداد لتعاليم آباء الكنيسة وبناء على تعاليمهم وشرحاً لها.

أما الآراء الخاصة بالكتاب الكنسيين فى غير أمور العقيدة والعبادة والحياة الروحيـة فهـى تبقـى أراء الكتـاب الخاصة بهم. وفى جميع الأحوال يجب مراعاة أهمية البناء على الأساس الواحد الذى بنيت عليه الكنيسة منذ أسسها الرب يسوع المسيح كما يقول الرسول بولس : "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف ٢:٢٠ وأيضاً أنظر ١كو ١١:٣).

إقتفاء أثر الآباء :

حيث إن الآباء معلمى العقيدة هم الذين استلموا وديعة الإيمان من الآباء الرسل، وسلموها بدورهم إلى الكنـائس إلى أن استقرت الوديعة محفوظة بقوانين المجامع المسكونية بجهود هؤلاء الآباء لذلك يلزم للمؤمنين اقتفـاء أثـر هؤلاء الآباء والسير على خطاهم فى تعليم الإيمان لكى يكون للكنيسة كلها إيمان واحد فى كل زمان وكل مكان. يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى دفاعه عن قانون إيمان مجمع نيقية: "لقد برهنا على أن هذا التعليم قد سلّم إلينا من أب إلى أب؛ أما أنتم أيها اليهود الجدد وتلاميذ قيافا فمن هم الآباء الذين تستطيعون أن تنسبوا أقوالكم إليهم؟"[٩].

وآباء مجمع نيقيا أعلنوا أنهم فى إقرارهم لقانون الإيمان أنهم "يحفظون العادات القديمة" ويقصدون بذلك الإيمـان المسلم مرة من الرسل بواسطة الآباء الذين سبقوا آباء نيقيا. وكذلك آباء المجامع التالية كانوا يعلنون أنهم "يتبعون الآباء القديسين"، ورفضوا أن يضيفوا شيئا على قانون إيمان نيقيا والقسطنطينية. والقديس كيرلس عمود الدين يؤكد أنه يتبع نفس تعليم القديس أثناسيوس وآباء مجمع نيقيا[١٠].

ولكن رغم هذه الأهمية التى تعطيها الكنيسة للآباء فى التعليم العقيدى إلا أنها لا تعتقد بعصمة أى أب من الآبـاء فى آرائه الشخصية فى الأمور غير العقائدية، مثل طريقته فى التفسير أو فى الموضوعات الروحيـة، فهـذه الآراء تبقى آرائه الخاصة ولا تلزم المؤمنين.

[٩] Defence of the Nicene definition (De Dec. ٢٧) N.&P.N. fathers, ١st series vol. IV p.١٦٨.

[١٠] شرح قانون الإيمان رسالة ٥٥، ورسالة ٣٩ إلى يوحنا الأنطاكى ترجمة المركز الأرثوذكسى لدراسات الآباء بالقاهرة.



ثانيا: أهمية كتابات الآباء :

١- كان الأستاذ جون ن. د. كيللى J.N.D.Kelly أستاذ الدراسات الآبائية وتاريخ العقيدة المسيحية بجامعة أكسفورد محقاً عندما كتب أن: "السبيل الوحيد لفهم ذهن الكنيسة الأولى هو أن ينقع الإنسان نفسه فى كتابات الآباء"[١١].

فالواقع أن كل تدريب على المعرفة اللاهوتية يظل ناقصاً جداً بدون إختبار أو تذوق لفكر الآباء - فالإختبار الآبائى هو إختبار للحقيقة اللاهوتية، هو إختبار للوحدة فى التنوع - هذه الوحدة التى تلقى ضوء قوياً للتمييز ما هو أساسى ومحورى فى المسيحية، وما هو ثانوى وجانبى.

٢- **ودراسة كتابات الآباء** : تعطينا إختبار توحيد القلب مع الذهن فى معرفة الإلهيات. فالمعرفة اللاهوتية ليست مجرد معرفة جافة ولا هى مجرد رياضة عقلية، بل هى إتحاد القلب والذهن مع ا . وهذا هو السبب الذى جعل كبار اللاهوتيين والقديسين، يدرسون "الآباء" بعناية واهتمام لأن ما كتبه الآباء هو عمل من أعمال القداسة. فكتابات الآباء مليئة بالمشاعر المسيحية كما يقول: "بوسّيه" Boissuet، إلى جانب المعرفة العميقة والدقيقة. فآباء الكنيسة يجمعون فى كتاباتهم وخبراتهم القداسة والمعرفة معا بدون انفصال وبلا أى تناقض[١٢].

٣- **الأباء والتقليد** : ترجع أهمية كتابات الآباء إلى أهمية التقليد بإعتبار مصدر الإيمان. والتقليد جعل لكتابات وآراء الآباء أهمية كبرى. فالكنيسة تعتبر "إتفاق الآباء الإجماعى" معصوماً حينما يخص تفسير الكتاب المقدس والعقيدة. ويصف "نيومان" (J.H. Newman) أهمية إتفاق الآباء وإختلافه عن الآراء الخاصة للآباء حينما يقول: إنى أتبع الآباء القدماء، ليس على أنهم فى موضوع معين لهم الثقل الذى يملكونه فى حالة العقائد والتعاليم (رغم أنهم كذلك). فحينما يتكلم الآباء عن العقائد ، يتكلمون عنها على أن الجميع يؤمنون بها. فالآباء هم شهود الحقيقة أن هذه التعاليم قد استلمت استلاما، ليس هنا أو هناك بل فى كل مكان، ونحن نستلم هذه التعاليم والعقائد التى يعلّمون بها، ليس لمجرد أنهم يعلّمون بها، بل لأنهم يشهدون أن كل المسيحيين فى كل مكان فى عصورهم كانوا يؤمنون بها. فنحن نتخذ الآباء كمصدر أمين للمعرفة، ولكن ليس كسلطة كافية فى ذواتهم، رغم أنهم هم أيضاً سلطة. فلو أنهم قالوا بهذه التعاليم نفسها وأضافوا قائلين: "إن هذه هى آراؤنا وقد استنتجناها من الكتاب المقدس، وهى آراء صحيحة"، فإننا فى هذه الحال كنا نتشكك فى استلامها على أيديهم. وكنا سنقول إن لنا الحق مثلهم أن نستنتج من الكتاب كما فعلوا هم، وأن الإستنتاج من الكتاب هو مجرد آراء، فإن اتفقت استنتاجاتنا مع استنتاجاتهم، فهذا يكون تطابقاً سعيداً معهم ولكن إن لم نتفق فإننا سنتبع نورنا الخاص.

وبلاشك ليس هناك إنسان، له الحق أن يفرض استنتاجاته الخاصة على الآخر فى أمور الإيمان. طبعاً هناك إلتزام واضح على الجاهل أن يخضع لأولئك الذين هم أعلم منه، وهناك تناسب ولياقة أن يخضع الصغار والشباب مؤقتاً لتعليم شيوخهم، ولكن فيما هو أبعد من ذلك فليس هناك رأى لإنسان أفضل من آخر. ولكن الأمر ليس هكذا فيما يخص الآباء الأولين، فالآباء لا يتكلمون برأيهم الخاص، إنهم لا يقولون: "هذا الأمر حقيقى لأننا رأيناه فى الكتاب المقدس" -

---

(١١) J.N.D. Kelly, Early Christian Doctrines, London: A&C. Black, ١٩٥٨, P.VI.

(١٢) See P.J. Hammell. Handbook of patrlogy, Staten Island, N.Y.: Alba House, ١٩٦٨, p. ١٢ in Constantine. N. Tsirpanlis, Introduction to Eastern Patristic Thought, The Liturgical Press, Collegevill, Minnesota, ١٩٩١, ٩.



وهو أمر هناك اختلافات فى الحكم بخصوصه - ولكنهم يقولون: "هذا الأمر حقيقى بسبب أن الكنائس تؤمن به وكانت فيما سبق تؤمن به طوال الأزمنة السابقة بلا إنقطاع منذ زمن الرسل"، حيث يكون الأمر هنا موضوع شهادة، أى عن وجود وسائل المعرفة لديهم بأن هذا الأمر كان يؤمن به طوال العصور السابقة، لأنه كان إيمان كنائس كثيرة مستقلة (إداريا) عن بعضها البعض، ولكن كان هذا إيمانها فى نفس الوقت، وذلك يكون على أساس أن هذا الإيمان من الرسل، فبلاشك أنه لا يمكن أن يكون إلا حقيقياً ورسولياً[١٣].

ويشهد القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٦-٣٧٣) عن الآباء وتقليد الكنيسة وتعليمها الذى سلّم بواسطة الرسل منذ البداية فيقول فى دفاعه عن ألوهية الروح القدس دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها، الذى هو من البداية والذى أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء (لاحظ أنه يعتبر التقليد والتعليم والإيمان واحداً وأن الآباء هم الذين حفظوا الإيمان) وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة... يوجد ثالوث قدوس وكامل، يعترف بلاهوته فى الآب والابن والروح القدس.. وهكذا يكُرز بإله واحد فى الكنيسة كما أوصى الرب "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨:١٩)[١٤].

وكما يشهد أيضاً القديس غريغوريوس (٣٣٥-٣٩٤) أسقف نيصا (Nyssa) عن الآباء والتقليد المسلم من الرسل فيقول إنه: "يكفى للتدليل على صحة تعليمنا أن التقليد قد انحدر إلينا من الآباء كميراث تسلم إلينا من الرسل بواسطة القديسين الذين أتوا بعدهم"[١٥].

٤- كتابات الآباء وتفسير الكتاب المقدس : لكتابات الآباء أهمية كبرى لأن الكنيسة فى عصرنا وفى كل عصر تالى للقرون الخمسة الأولى تعتمد فى تفسير الكتاب المقدس على تفسيرات الآباء للكتاب المقدس وخاصة تفسير الآيات التى تستقى منها العقائد الإيمانية. وذلك يلزم للكنيسة فى عصرنا أن يكون لديها كل تفسيرات الآباء لأسفار الكتاب المقدس مترجمة إلى اللغة العربية، وهذا احتياج ملح بالنسبة للكنيسة فى مصر وفى كل البلاد الناطقة بالعربية.

ومن هنا فإن كتابات الآباء لا غنى عنها لرعاة الكنائس والمعلمين والوعاظ وطلبة الكليات اللاهوتية ولكل من له اهتمام بالإيمان المسيحى ودراسة الكتاب المقدس.

٥- كتابات الآباء والليتورجيات : كما أن لكتابات الآباء أهمية كبرى أيضاً لأنها المصدر الذى تأخذ منه الكنيسة منذ العصور الأولى وإلى الآن نصوص القداسات التى تصلى بها ونصوص التسابيح والتماجيد التى تستعملها الكنيسة فى عباداتها الجماعية أو فى عبادة المؤمنين العائلية والإنفرادية. فمثلاً القداسات الثلاثة المستعملة فى كنيستنا وهى الباسيلى والغريغورى والكيرلسى على التوالى هى من وضع القديس باسيليوس أسقف قيصرية كبادوكية فى آسيا الصغرى فى القرن الرابع، والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات (أو النزينزى) أسقف

---

(١٣) نيومان : Discussionsa Arguments II,I.

(١٤) أنظر كتاب "رسائل الروح القدس للقديس أثناسيوس - إلى الأسقف سرابيون" ترجمة عن اليونانية دكتور موريس تاوضروس ودكتور نصحى عبد الشهيد، الرسالة الأولى فصل ٢٨ص ٨٢ إصدار مركز دراسات الآباء ١٩٩٤.

(١٥) فى كتابه ضد أونوميوس Contra Eunom وردت بكتاب "دراسات فى آباء الكنيسة" ص ٣٨٥ لأحد رهبان برية القديس مقاريوس ١٩٩٩.



القسطنطينية فى القرن الرابع أيضاً، والقديس كيرلس الأسكندرى (الملقب بعمود الدين) فى أوائل القـرن الخـامس المتنيح فى سنة ٤٤٤م. كما أن نصوص ليتورجيات أسرار المعمودية، والميـرون، ومسـحة المرضـى، والـزواج والكهنوت، ونصوص صلوات تقديس المياه فى اللقان، وصلوات تدشين الكنائس كل هذه من وضع آباء الكنيسة فـى القرون الأولى.

٦- كتابات الآباء والحياة الروحية : كما أن كتابات آباء الكنيسة هى مصدر الخبرات الروحية التـى عاشـها القديسون وكتبوها أو كتبت عنهم سواء كانوا من الآباء النساك فى البرية الذين لهم إنتاج وفير فى الحياة الروحيـة والنسكية. كما أنها هى مصدر سير الشهداء والقديسين فى العصور المسيحية الأولى.

ثالثا : مفهوم علم الآباء وتاريخه :

الباترولوجيا هى ذلك الجزء من تاريخ الكتابات المسيحية التى تتناول المؤلفين اللاهوتيين فى العصور المسـيحية الأولى. والباترولوجيا تضم كل من الكتاب الأرثوذكس والهراطقة، رغم أنها تعالج بإهتمام أكبر أولئك المؤلفين الذين يمثلون تعليم الكنيسة المسلم من الرسل أى التعليم التقليدى. وهؤلاء المؤلفين هم الذين يطلق عليهم آبـاء الكنيسـة ودكاترة أى معلمى الكنيسة. وهكذا فعلم الباترولوجيا يمكن أن يعرف بأنه "علم آباء الكنيسة".

إن اسم هذا الفرع من علوم اللاهوت هو حديث العهد. وأول من استعمل اسم الباترولوجى هـو جـون جرهـارد (Joh. Gerhard) **الألمانى من لاهوتيى القرن ١٧، وذلك عندما استخدم كلمة باترولوجيا** (Patrologia) **كعنـوان لكتابه الذى نشره سنة ١٦٥٣م. إلا أن فكرة تاريخ الأدب المسيحى الذى تظهر فيه وجهة النظر اللاهوتية بارزة هى فكرة قديمة :**

١- هذه الفكرة تبدأ بأوسابيوس (Eusebius) **المؤرخ الكنسى. لأنه يقول فى مقدمة كتابه "تاريخ الكنيسة"** (E.H) **أنه يقصد أن يسجل كتابة ما يعرفه عن عدد من أولئك الذين كانوا فى كل جيل هم سفراء كلمة ا سواء بالكلام أو بالكتابة، وأيضاً أسماء وعدد وأعمار أولئك الذين اندفعوا إلى طريق الخطأ وانحراف التعليم، الذين أبـرزوا أنفسـهم كدعاة معرفة وعلم كاذب[١٦]. وهكذا فهو يسجل أسماء الكتاب وكتبهم على قدر ما يعرفهم ويسجل اقتباسات طويلـة من معظم كتاباتهم. ولهذا السبب يعتبر أوسابيوس واحدا من أهم مصادر علم الباترولوجيا خاصة وأن عددا كبيرا من الكتابات التى اقتبس منها قد فقدت. وبالنسبة لبعض المؤلفين الكنسيين يعتبـر هـو المصـدر الوحيـد للمعلومـات عنهم[١٧]. وجاء بعد أوسابيوس مؤرخون آخرون حاولوا أن يكملوا عمله. فهناك تاريخ سقراط، وتاريخ سـوزمين، وتاريخ ثيئودوريت. هؤلاء المؤرخين الثلاثة ركزوا كتاباتهم على الكنيسة الشرقية وأعمالهم متقاربة إلى حد كبيـر. أما فى الغرب فقام روفينوس بترجمة تاريخ أوسابيوس من اليونانية إلى اللاتينية. وأضاف إليه بعض الأحداث حتـى عصر الإمبراطور ثيؤدوثيوس الكبير سنة ٣٩٢م.**

٢- ولكن يعتبر ايرونيموس (جيروم) Jerome **هو أول من كتب تاريخا للأدب المسيحى اللاهوتى. وذلك فى كتابه "مشاهير الرجال"** De . VIR. ILL**. ويقصد جيروم فى كتابه هذا أن يرد على أولئك الكتاب الوثنيين الذين اعتـادوا**

---

[١٦] تاريخ الكنيسة لأوسابيوس ١:١:١.

[١٧] كتاب أوسابيوس : "تاريخ الكنيسة" يرجع إلى أوائل اقرن الرابع - وقد عربه عن الإنجليزية القس مرقس داود - القاهرة ١٩٦٠م.

أن يتهموا المسيحيين بقلة الذكاء - ولهذا السبب فإن جيروم يعدد فى كتابه أسماء الكتاب الـذين يعتـز بهـم الأدب المسيحى فى ١٣٥ فصلاً، ويقدم فى كل فصل عرضاً لسيرة الكاتب وتقييما لكتاباته. هذا الكتاب كتبه جيروم فى بيت لحم سنة ٣٩٢م. بناء على طلب صديقه الوالى "ديكستر" (Dexter).

٣- حوالى سنة ٤٨٠م ألف جيناديوس (Gennadius) كتاباً بنفس الإسم أى "مشاهير الرجال" وهو يعتبر تكملـة لعمل جيروم. وجيناديوس كاهن من مرسيليا وهو "شبه بيلاجى" (Semipelegian)، وهذه حقيقة تترك أثرهـا هنـا وهناك على وصفه وتعليقاته. ومع ذلك يعتبر كتابه تكملة وإضافة نافعة لعمل جيروم. ويظهر من كتابه أنـه واسـع الإطلاع ودقيق فى أحكامه. ويظل عمله ذو أهمية أساسية لتاريخ الكتابات المسيحية القديمة. وكتاب جيناديوس يشمل ٩٩ فصلاً ويختمه بفصل عن كتاباته هو.

٣- بعد جيناديوس وحتى نهاية القرن الخامس عشر قام عدة مؤلفون بعمل كتب على نسق كتاب جيروم وتكملـة له بعد جيناديوس. وحوالى سنة ١٤٩٤م ألف الراهب جوهانس تريثيميوس Johannes Trithemius كتابـا بإسـم "الكتاب الكنسيون" وهو يحوى سير حياة وكتابات ٩٦٣ كاتبا، بعضهم ليسوا لاهوتيين. ويستقى تريثيميوس معلوماته عن الآباء من جيروم وجيناديوس.

٥- فى عصر النزعة الإنسانية بأوروبا حدث إهتمام متجدد بالكتابات المسيحية القديمة. فمن ناحية كـان دعـاة الإصلاح البروتستانتى يتهمون كنيسة روما بأنها تدهورت وابتعدت عن آباء الكنيسة. ومـن الناحيـة الأخـرى أدت قرارات مجمع ترنت إلى ازدياد هذا الاهتمام إلى درجـة كبيـرة بكتابـات الآبـاء. فـألف الكاردينـال "بيلارمـين" Bellarmine كتاب "الكتاب الكنسيين حتى سنة ١٥٠٠" وظهر هذا الكتاب سنة ١٦١٣م. وبعد هذا ظهـر مؤلفـان كبيران من تأليف مؤلفان فرنسيان هما كتاب Tillemont عن تاريخ الكنيسة فى القرون الستة الأولى[١٨]. وصـدر فى ١٦ مجلدا، والمؤلف الثانى هو R. Ceillirr باسم "التاريخ العام للمؤلفين المقدسين والكنسيين"[١٩]. وصدر فـى ٢٣ مجلداً. وهو يعالج كل الكتاب الكنسيين من العصر المسيحى الأول حتى سنة ١٢٥٠م.

٦- العصر الجديد لعلم كتابات الآباء ظهر خاصة فى التجميعات العظيمة والطبعات الخاصة الممتـازة للنصـوص الآبائية. وهذه التجميعات حدثت فى القرنيين السادس عشر والسابع عشر. أما القرن التاسع عشر فقد أثـرى حقـل الكتابات المسيحية القديمة بعدد كبير من الإكتشافات الجديدة خاصة إكتشافات لنصوص شرقية. وبذلك ظهرت الحاجة إلى طبعات جديدة نقدية محققة علمياً. وقد افتتحت أكاديمية فيينا وأكاديمية برلين هـذا العمـل بطبـع مجموعـات مضبوطة لكتابات الآباء باللغتين اليونانية واللاتينية، بينما بدأ علماء الآباء الفرنسـيون بنشـر أعظـم مجمـوعتين للكتابات المسيحية الشرقية.

٧- فى القرن العشرين ظهر إتجاه غالب للإهتمام بدراسة الأفكار، وتاريخ المفهومات، وتـاريخ التعبيـرات فـى الكتابات المسيحية القديمة واهتمام بدراسة تعاليم الآباء وعقائدهم وتعليم كل الكتاب الكنسيين. وكما يقول البروفسور كواستن (Quasten) أستاذ الآباء بجامعة واشنطن أن الاكتشافات الحديثة فى القرن العشرين لأوراق البـردى فـى مصر قد مكنت العلماء من استعادة كثير من الأعمال الآبائية التى كانت مفقودة.

---

[١٨] صدر فى باريس سنة (١٦٦٣-١٧١٢).

[١٩] صدر فى باريس سنة (١٧٢٩-١٧٦٣م).



٨- فى الكنيسة القبطية كان النساخ - وخاصة فى الأديرة - يقومون بنسخ كتابات الآباء فى مختلف العصور سواء باللغات اليونانية أم القبطية أو المترجمة فى مخطوطات بالعربية. وهنا نذكر نوع خاص مخطوط مشهور اسمه "اعتراف الآباء" وهو يحوى اقتباسات للآباء منذ عصر بعد الرسل وحتى البطريرك خرستوذولوس (البطريرك ٦٦) والكتاب الكنسيين فى القرن الـ ١١. والمقصود بكلمة "اعتراف" هو تعاليم الآباء العقائدية فيما يخص الثالوث والتجسد وعقيدة الكنيسة القبطية عن طبيعة المسيح. وهذا الكتاب يوجد منه نسخ خطية فى مكتبة البطريركية القديمة بالأزبكية وفى مكتبة المتحف القبطى وفى بعض الأديرة القبطية.

وفى القرن السابع قام المؤرخ يوحنا النيقوسى وهو أسقف نيقيوس بالمنوفية بكتابة تاريخ ضخم منذ آدم حتى عصره فى نهاية القرن السابع.

هذا الكتاب كتب أصلاً بالقبطية وترجم إلى الأثيوبية. ولكن النسخة القبطية الأصلية فقدت والباقى هو الترجمة الأثيوبية التى ترجمت بالتالى إلى الفرنسية فى العصر الحديث، ثم ترجمت إلى الإنجليزية وأخيراً صدرت ترجمة عربية عن الإثيوبية فى يناير ٢٠٠٠.

أما كتاب السنكسار فهو يحوى سير مختصرة للقديسين والشهداء حسب أيام السنة القبطية. ويحوى القليل من أقوال الآباء.

وكتاب تاريخ البطاركة المنسوب إلى الأنبا ساويروس بن المقفع فى القرن العاشر ويحوى تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية منذ مارمرقس حتى القرن العاشر. وقد قام بعده كتاب آخرون بتكميل تاريخ البطاركة الذين جاءوا بعد القرن العاشر. ولكنه لا يحتوى إلا على القليل من نصوص الآباء.

رابعاً: لغة الآباء :

كانت لغة المسيحية منذ نشأتها حتى القرن الثانى هى اللغة اليونانية. إذ كانت هذه اللغة هى لغة الأدب والحديث طوال القرون الأولى فى الإمبراطورية الرومانية فى كل بلاد البحر الأبيض المتوسط. فقد غزت الحضارة اليونانية والأدب اليونانى العالم الرومانى كله حتى أنه كان يندر أن تكون مدينة فى الغرب لا تستعمل فيها اللغة اليونانية كلغة التعامل اليومى. وحتى فى روما وشمال أفريقيا وبلاد الغال (فرنسا) كان استعمال اللغة اليونانية حتى القرن الثالث. ولهذا السبب تعتبر اللغة اليونانية هى اللغة الأصلية لكتابات الآباء. وإن كان فى الشرق قد حل محلها جزئياً اللغات المحلية مثل السريانية فى سوريا والقبطية فى مصر وخاصة فى الوجه القبلى، والأرمينيا فى أرمينيا. وبعد القرن الثالث حلت اللاتينية فى الغرب محل اليونانية.

إن كتاب أسفار العهد الجديد مثلهم مثل آباء الكنيسة لم يكتبوا باللغة اليونانية الكلاسيكية، بل بلغة يونانية تسمى "كوينى" (Koine) والتى يمكن أن توصف بأنها تآلف بين اللغة الأتيكية (Attic) لغة مقاطعة "أتيك" فى اليونان وبين اللغة اليونانية الشعبية. وقد صارت لغة الـ "كوينى" هى لغة كل العالم الهلينى منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية العصور المسيحية الأولى أى حتى بداية القرن السادس.



خامساً: تصنيف كتابات الآباء :

توجد أكثر من طريقة لتصنيف الآباء. فعلماء علم الآباء يقسمون الآباء، أولاً بحسب اللغة التى كتبوا بها كتاباتهم: اليونانية، اللاتينية، والسريانية والقبطية والأرمنية. وأكبر كمية من كتابـات الآبـاء وصـلتنا بـاللغتين اليونانيـة واللاتينية. ومن هنا جاءت التسميات للمجموعتين الشهيرتين : باترولوجيـا جريكـا (كتابـات الآبـاء باليونانيـة)، وباترولوجيا لاتينا (كتابات الآباء باللاتينية).

الأساس الثانى الذى يصنفون به الآباء هو الترتيب التاريخى، وعلى الأساس التاريخى تقسم المراجـع الآبائيـة، كتابات الآباء إلى عدة عصور:

١- **بدايات الكتابات الآبائية** : هذا العصر يشمل كتابات القرون الثلاثة الأولى أى يمتد من حوالى سنة ١٠٠ إلى سنة ٣٠٠ ميلادية.

٢- **العصر الذهبى للكتابات الآبائية** : ويمتد من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٤٤٠م.

٣- **العصر المتأخر** : من ٤٤٠ إلى ٦٠٠م. وعند الروم يمتد العصر المتأخر حتى سنة ٨٩٣م.

وسنتناول كل عصر بالتفصيل :

١- *العصر الأول* : من سنة ١٠٠-٣٠٠ (ويسمى ما قبل نيقية) ويشمل :

أ- *كتابات الآباء الرسوليين* : رسالة اكليمندس الرومانى إلى الكورنثيين سنة ٩٦، رسائل أغنـاطيوس الإنطـاكى السبعة إلى كنائس آسيا (حتى سنة ١٠٧)، رسالة القديس بوليكاربوس إلى الفلبيين (حوالى ١٥٦)، ويرجع العلمـاء الآن كتاب الـ "ديداكى"، "تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الاثنى عشر" إلى نهاية القرن الأول. ثم كتابـات الكتـاب المعاصرين للآباء الرسوليين: بابياس سنة ١٣٠، رسالة برنابا (حوالى سنة ١٠٠)، وراعى هرماس (القرن الثانى).

ب- *كتابات الآباء المدافعين* :

١- كوادراتوس سنة ١٢٤ وتنسب إليه الرسالة إلى ديوجينتس (بحسب الأبحاث الحديثة).

٢- ارستيدس من أثينا (١٢٥م). ٣- أرستو من بيللا (١٤٠م).

٤- القديس يوستينوس الشهيد (١٦٥م)

٥- تاتيان السورى (حوالى ١٧٢م).

٦- أبوليناريوس من هيرابوليس (١٧٢م).

٧- أثيناغوراس (١٧٧م). ٨- ثاؤفيلس الإنطاكى (حوالى ١٨٠م).

٩- ميليتو أسقف ساردس (١٩٠م).

١٠- ملتيادس (١٩٢م).

١١- مينوكيوس فيلكس (حوالى سنة ٢٠٠م).

١٢- هرمياس الفيلسوف (٢٠٠م).



ج- الآباء الآخرون فى القرنين الثانى والثالث :

١- الآباء الشـرقيين : القديس إيريناؤس أسقف ليون (١٤٠-٢٠٢م)، القديس اكليمنـدس الإسـكندرى (١٥٠-٢١٠م)، أوريجينوس (١٨٥-٢٥٤)، ديونيسيوس الإسكندرى (٢٦٤م)، الدسقولية (تعاليم الرسل) - (القرن الثالث)، غريغوريوس العجائبى (٢١٣-٢٧٠). ميثوديوس الأوليمبى (نهاية القرن الثالث).

٢- الآبـاء الغربيـون : ترتليان (١٦٠-٢٢٠)، القديس كبريـانوس (٢٠٠-٢٥٨)، أرنوبيـوس (٢٨٠-٣١٠)، لاكتنتيوس (توفى حوالى ٣١٧)، هيبوليتوس الرومانى (١٦٠-٢٣٥)، سير الشهداء (Acta Martyria).

٢- العصر الذهبى للآباء : ٣٠٠-٤٤٠ (ويسمونه عصر نيقية وما بعد نيقية).

أ- الآباء الشـرقيين : القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٦-٣٧٣) القـديس كيـرلس الإسـكندرى (٣٧٦-٤٤٤). القديس باسيليوس أسقف قيصرية (٣٢٩-٣٧٩)، القديس غريغوريوس النزينانزى (النـاطق بالإلهيـات) - (٣٢٩-٣٩٠)، القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥ -٣٩٤)، ديديموس الضرير (٣١٠-٣٩٨)، القديس إبيفانيوس أسـقف سلاميس (٣١٥-٤٠٣)، القديس أنطونيوس الكبير (٢٥٠-٣٥٦)، القـديس بـاخوميوس (تنـيح ٣٤٦)، القـديس مقاريوس (٣٠٠-٣٩٠)، القديس مقاريوس الإسكندرى (تنيح ٣٩٤) القديس كيـرلس الأورشـليمى (٣١٣-٣٨٦)، القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٥٤- ٤٠٧)، مارافرام السريانى (٣٠٦-٣٧٣)، أفراهات (تنيح ٣٦٧).

ب- الآباء الغربيـون : القديس هيلارى أسقف بواتيه (أثناسيوس الغرب) - (٣١٥-٣٦٦)، القديس أمبرسـيوس أسقف ميلان (٣٣٩-٣٩٧)، القديس جيروم (٣٤٩-٤٢٠)، القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠).

٣- العصر المتأخر : (٤٤٠ - حوالى ٦٠٠) :

أ- الآباء الشـرقيين : القديس فليكسنوس أسقف منبج (٤٤٠-٥٢٣)، القديس ساويروس الإنطاكى (تنيح ٥٣٨)، مارإسحق السريانى (تنيح ٦٩٢)، القديس يوحنا الدرجى (٥٧٩-٦٥٠)، البطريرك فوتيوس (عند الروم) - (٨١٠-٨٩٣).

ب- الآباء الغربيون : البابا غريغوريوس الكبير (٥٤٠-٦٠٤).

سادساً : طبعات الكتابات المسيحية الأولى :

١- الطبعات الأولى للكتابات المسيحية القديمة لا يمكن أن تعتبر طبعات نقدية حيث إن القواعد العلميـة لإختيـار المخطوطات لم تكن قد وجدت بعد، ومع ذلك فإن كثير من هذه الطبعات الأولى هى الآن ذات قيمة عظيمة جداً بسبب أن المخطوطات التى أخذت عنها هذه المطبوعات قد فقدت.

٢- من بين الطبعات الأولى لكتابات الآباء التى ظهرت منذ القرن السادس عشر توجد مجموعة واحدة لا تـزال لهـا قيمتها العلمية وهى المجموعة التى طبعها الرهبان الفرنسيون البندكت فى "سانت مورا" والتى نشـرت فـى القـرنين السابع عشر والثامن عشر. وبعض طبعاتهم لكتابات الآباء لم يعل عليها حتى الآن. وفى مجموعتهم هذه يوجد الـنص اليونانى مع ترجمة لاتينية مع فهارس دقيقة مضافة إلى كل مجلد.



٣- أكمل مجموعة للنصوص الآبائية هى المجموعة التى نشرها الراهب "مينى" (J.P.Migne)، (المتوفى سـنة ١٨٧٥م). إنها تحوى إعادة طبع لكل النصوص التى سبق طبعها حتى وقته وذلك لكـى تكـون فـى متنـاول يـد اللاهوتيين ولكى يكون الوصول إلى نصوص الآباء سهلاً. وللأسف فإن طبعة "مينى" للآباء بها أخطاء مطبعية كثيرة. ولهذا السبب فمن الأفضل دائماً الرجوع إلى الطبعات التى أخذ منها "مينى" أن لم تكن هناك طبعـه علميـة حديثـة للنصوص. ومع ذلك تظل باترولوجيا "مينى" هى بالنسبة لكثير مت الكتابات الآبائية، المصدر الوحيـد الـذى يمكـن الرجوع إليه. وتقع مجموعة باترولوجيا "مينى" فى قسمين :

أ- "باترولوجيا جريكا" واختصارها (P.G) : وهو القسم الذى يشمل كتابات الآباء والكتاب الكنسيون باللغة اليونانية الأصلية وأمام النص اليونانى ترجمة لاتينية. وهذه المجموعة اليونانية تضم كتابات حتى القرن الخامس عشـر. أى إلى مجمع فلورنسا وكل آباء كنيسة الإسكندرية والكتابات الرهبانية المصرية باللغة اليونانيـة موجـودة فـى هـذه المجموعة. وعدد مجلداتها ١٦١ مجلد كبير.

ب- "باترولوجيا لاتينا" واختصارها (P.L) : أى الكتابات التى كتبت أصلاً باللاتينية. وهذه المجموعة اللاتينية تقـع فى ٢٢١ مجلد كبير منها ٤ مجلدات فهارس وتصل الكتابات اللاتينية فى هذه المجموعة حتى كتابات البابا اينوسنت الثالث المتوفى سنة ١٢١٦م. وقد نشرت مجموعتى باترولوجيا مينى اليونانية واللاتينية فى السنوات ما بين ١٨٤٤ و١٨٦٦ فى باريس.

٤- وقد بدأت كل من أكاديمية فيينا وأكاديمية برلين بنشر مجموعة من كتابات الآباء التى تجمع بين الدقة اللغوية والاكتمال وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن. وكل منهما تنشر الكتابات بأصلها اللغـوى أى باليونانيـة واللاتينية مع مقدمات وفهارس بالألمانية.

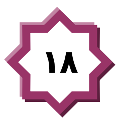
٥- نشرت مجموعة "باترولوجيا أورينتالس" (Patrologia Orientalis) أى مجموعة الآبـاء الشـرقيين. وهـى كتابات كنسية باللغات القبطية والعربية والأثيوبية وقد صدرت فى باريس منذ سنة ١٩٠٧م فى ٢٥ مجلد حتى الآن. كما صدرت من باريس مجموعة "باترولوجيا سيرياكا" (Patrologia Syriaca) وهى كتابات الكنيسة السريانية. وقد صدرت فى ثلاث مجلدات.

سابعاً: ترجمات كتابات الآباء إلى اللغات الحديثة :

١- ترجمات إلى الإنجليزية :

أشهر الترجمات إلى الإنجليزية لكتابات الآباء هى :

أ- The Anti Nicene Fathers (ANF) "آباء ما قبل نيقية"، وهى ترجمة لكتابات الآباء بالفترة التى تلى عصر الرسل مباشرة وإلى ما قبل مجمع نيقية (٣٢٥). وتقع فى عشر مجلدات وبدأ صدورها فى الولايات المتحـدة سـنة ١٨٨٥م. وهذه الطبعة الأمريكية هى إعادة طبع للترجمة الإنجليزية التى صدرت قبلها فى أدنبـرة بأسـكتلندا تحـت عنوان The Anti-Nicene Christian Library (بين ١٨٦٦،١٨٧٢) وكانت فى ٢٤ مجلد من حجم أصغر مـن الطبعة الأمريكية التى تلتها.



وتحوى مجموعة آباء ما قبل نيقية كتابات : الآباء الرسوليين، اكليمندس الرومـانى وأغنـاطيوس وبوليكـاربوس، وكذلك كتابات الشهيد يوستينوس والقـديس إيرينـاؤس أسـقف ليـون واكليمنـدس الإسـكندرى، وترتليـانوس وأوريجينوس، والقديس كبريانوس والقديس غريغوريوس العجائبى، إضافة إلى كتابات أخرى. وقد أعيد طبع هـذه المجموعة بالولايات المتحدة سنة ١٩٥١ ولا يزال تصدر منها طبعات جديدة كما هى.

ب- Library of The Nicene and Post Nicene Father أى "مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقيـة". وهـى مجموعة مختارة من كتابات الآباء غالبيتها من كتابات القرنين الرابع والخامس وتقع فى ٢٨ مجلد. وقد صدرت فى الولايات المتحدة أواخر القرن ١٩ وأعيد طبعها هناك سنة ١٩٥٧، ولا تزال تصدر منها طبعات جديـدة كمـا هـى. وهذه المجموعة مقسمة إلى قسمين: القسم الأول (1st Series) يحوى ١٤ مجلد منها ٨ مجلدات لأغسطينوس، و٦ مجلدات ليوحنا ذهبى الفم. والقسم الثانى (2nd Series) يحوى ١٤ مجلد أيضاً ويضـم بعـض كتابـات القديسـين: أثناسيوس الرسولى (فى مجلد واحد) وباسيليوس الكبير (فى مجلد واحد) وغريغوريوس النزينانزى (فى مجلد مشترك مع كيرلس الأورشليمى)، وأمبرسيوس ومارافرام السريانى وغريغوريوس النيسى وهيلارى أسقف بواتيـه ويوحنـا كاسيان. كما يضم هذا القسم بعض كتابات غريغوريوس الكبير (أسقف روما فى القرن السـادس) ويوحنا الدمشقى (من القرن الثامن) إضافة إلى كتابات أخرى كما تحوى لمجموعة المجلد رقم ١٤ مجلدا لأعمال المجامع المسكونية.

ويلاحظ أن هذه المجموعة لا تحوى أى كتاب من كتب القديس كيرلس الإسـكندرى (عمـود الـدين) ولا عظـات القديس مقاريوس الشهيرة.

ج- The Father of The Church "مجموعة آباء الكنيسة" بدأت جامعة واشنطون الكاثوليكيـة بنشـرها منـذ ١٩٤٧ ولا يزال النشر مستمراً. بلغ عدد كتب هذه المجموعة حتى الآن أكثر من ١٠٠ كتاب. وبها بعض كتابات قليلـة للقديس كيرلس الإسكندرى بالإنجليزية.

د- صدرت ترجمات إنجليزية منفردة لكتابات بعض الآباء وليست ضمن مجموعات كالمجموعات السابق ذكرهـا. فمثلاً صدرت أول ترجمة إنجليزية لعظات القديس مقاريوس بإنجلترا سنة ١٧٤٩م، ثم ترجمة إنجليزية أخرى لنفس العظات سنة ١٩٢١م وهى الترجمة التى عرب عنها بيت التكريس ترجمته العربية الجديدة التى نشرت سنة ١٩٧٩ (الطبعة الأولى). وكذلك صدرت ترجمة إنجليزية لتفسير إنجيل لوقـا للقـديس كيـرلس الإسـكندرى سـنة ١٨٥٩ بأكسفورد بإنجلترا (هذا التفسير وصدر فى أجزاء).

هـ- صدرت ترجمة إنجليزية عن اليونانية لـ "شرح إنجيل يوحنا" للقديس كيرلس الإسكندرى فى جزئين، الجزء الأول صدر ١٨٧٤ والثانى ١٨٨٥، وذلك ضـمن سلسـلة Library of The Father of The Church (L.F.C) (وهى الترجمة التى يترجم عنها مركز دراسات الآباء منذ ١٩٨٩ هذا الشرح ولا يزال).

٢- ترجمات إلى الفرنسية :

أهم سلسلة لنصوص الآباء بالفرنسية هى مجموعة الآباء بالفرنسية هى مجموعة المصادر المسيحية (Sources Chretiennes) التى بدأ بنشرها J.Danielou بباريس ١٩٤١ ولا تزال تصدر حتى الآن وتشمل النصوص الآبائية



باليونانية أو اللاتينية مع ترجمة فرنسية فى الصفحة المقابلة مع مقدمة وافية عن أصل كل نص ودراسة عنه. وصل عدد الكتب التى صدرت من هذه المجموعة إلى أكثر من ٤٢٠ مجلد.

ثامناً: الدراسات الآبائية فى القرن العشرين :

حدثت طفرة فى الإهتمام بالنصوص الآبائية القديمة فى الغرب فى القرن العشرين، ومن مظاهر الإهتمام هو إنشاء أقسام للدراسات الآبائية بعدد كبير من جامعات العالم غرباً وشرقاً. كما بدأت فى القرن العشرين ظاهرة المـؤتمرات العالمية لدراسة كتابات الآباء وتعاليمهم، وأشهر هذه المؤتمرات هو "المؤتمر الدولى للدراسات الآبائية" الذى ينعقـد بجامعة أكسفورد كل أربعة سنوات وكان أول إنعقاد له سنة ١٩٥١م. ويشترك بعض الباحثين بالمركز الأرثوذكسـى للدراسات الآبائية فى هذا المؤتمر منذ ١٩٨٣. والمركز عضو فى الجمعية الدولية للدراسات الآبائية التـى تشـرف على أعمال المؤتمرات الآبائية وتنسق لها.

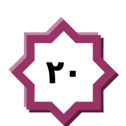
كما بدأت أيضاً مؤتمرات دولية متخصصة فى دراسة كتابات أحد الآباء: مثل مؤتمر لدراسة كتابات أغسـطينوس ومؤتمر لدراسة كتابات أوريجينوس، وهى تعقد أيضاً كل أربع سنوات فى أحد جامعات أوربا. كما بـدأ فـى القـارة الأمريكية مؤتمرات لدراسات الأباء تعقد كل سنتين فى نطاق القارة الأمريكية.

كما بدأت فى السنوات الثلاثين الأخيرة مؤتمرات دولية متخصصة فى الكتابات المسيحية السريانية وفـى دراسـة القبطيات وأيضا فى دراسة التراث المسيحى العربى، وهذه المؤتمرات المتخصصة تنعقد أيضاً كل أربع سـنوات فـى إحدى جامعات العالم.

فى العام ٢٠٠٠ انعقد المؤتمر الدولى للقبطيات فى جامعة ليدن بهولندا، والمؤتمر الدولى للتراث العربى المسيحى فى جامعة سيدنى بإستراليا..

المراجع :

١- Quasten, Patrology vol. I Utrecht- Antwerp, Westminster ١٩٥٠-١٩٦٠.
٢- P.J. Hammell, Handbook of Patrology. Staten Island N.Y., Alba House ١٩٦٨.
٣- N.& p.N Father ١st Sreies vol. I.





د.جوزيف موريس فلتس

يُعرف الآباء معلموا العقيدة بأنهم هم الذين ساهموا فى تحديد مضمون الإيمان أو فى صياغته أو شرحه، حيث المقصود بالإيمان ليس هو العقيدة فقط بل هو كل التقليد الذى استلمته الكنيسة من الرسل وهو ما عبر عنه القديس يهوذا فى رسالته بعبارة "الإيمان المسلم مرة للقديسين" (يهو ٣) وهو يشمل الإيمان بالسيد المسيح إبن ا وكل العقائد الأخرى المتصلة به وبالخلاص الذى أتمه بالصليب والقيامة، يشمل عبادة الكنيسة فى الليتورجيات كلها وخاصة ليتورجية الإفخارستيا كما يشمل عبادة الكنيسة فى الليتورجيات كلها وخاصة ليتورجية الإفخارستيا كما يشمل الحياة الروحية المسيحية الجماعية والشخصية وما فيها من أخلاق السلوك المسيحى[٢].

"وآباء الكنيسة هم معلموا العقيدة وهم الذين ساهموا فى تحديد مضمون الإيمان وصياغته وشرحه حتى استقر فى الإطار الذى أجمعت عليه الكنيسة فى مجامعها المسكونية حتى المجمع المسكونى الثالث فى أفسس فى القرن الخامس"[٣].

إن ما قام به الآباء كان محصلة لنعمة خاصة وعمل قوى للروح القدس ولهذا فإن الكنيسة تعطى لكتابات الآباء نفس الأهمية تقريباً التى تعطيها لنصوص الكتاب المقدس. ففى كتاباتهم نجدهم يعبرون باستمرار ويؤكدون أن معرفتهم بالحقيقة الإلهية تمت فقط بنعمة الروح القدس وإنارته لقلوبهم، فالقديس كيرلس الأسكندرى يشهد قائلاً: "إننا لا نستطيع أن ندخل إلى الحقيقة الإلهية ما لم نستنير بعمل الروح"[٤]. أيضاً يوضح القديس غريغوريوس النيسى فى تفسيره لسفر نشيد الأناشيد فيقول: "أن الروح القدس هو الذى يعطينا قوة ويحرك أفكارنا ويتقدم أقوالنا"[٥].

فحقيقة أن الآباء قد كتبوا وهم مرشدين بالروح القدس، لهو أمر مقبول فى الكنيسة بل ويمثل إيماناً غير مشكوك فيه بالمرة[٦]، هذا من جانب، ومن جانب آخر ربما يتساءل المرء: هل أضاف الآباء بكتاباتهم وخبراتهم الروحية شيئاً جديداً للحقيقة الإلهية التى استعلنت مرة فى الإنجيل وعاشتها الكنيسة الأولى؟.

ولاستيضاح ذلك الأمر علينا أن نلاحظ الآتى :

---

(١) عن دورية "دراسات آبائية ولاهوتية" إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة السنة الأولى، العدد الأول، يناير ١٩٨٨، القاهرة ص ١٧-٢٧.

(٢) دياكون مجدى وهبة صموئيل: مقدمة فى علم الآباء. إصدار مركز دراسات الآباء - القاهرة، أكتوبر ١٩٩٣، ص (٩-١٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تفسير إنجيل يوحنا PG ٧٤،٥٣٧B .

(٥) تفسير نشيد الأناشيد PG ٤٤،١٠١٦ AB IB.

(٦) Σ.Γ. Παπαδοπου, Πατρολογια Α, Β εκδοδη, Αθηναι 1982. δ:25.



١- بصفة عامة :

إن الحقيقة الإلهية والتى تتطابق مع الواقع الإلهى أعطيت وتعطى للإنسان بطريقة كشفية إستعلانية، فلقد إتضحت هذه الحقيقة (ا مثال الأقانيم وعمله الخلاصى من أجل الإنسان) على مراحل: بالناموس - الأنبيـاء - الإنجيـل - يوم الخمسين... الخ. هذه المراحل يسميها القديس غريغوريوس اللاهوتى "بالتحولات الحياتية" والمرحلة الأخيرة من هذه النقلات تبدأ بيوم الخمسين والذى يستمر عمله داخل إطار الكنيسة كما يؤكد ذهبى الفـم[٧]. ويعتبـر القـديس غريغوريوس اللاهوتى أن هذه المرحلة أى مرحلة الإرشاد أو الإستنارة التى يعطيها الـروح القـدس داخـل إطـار الكنيسة كأنها "رجاء تكميلى" (Ελπιδος συμπληρωσις) على حد تعبيره[٨]. أما كيرلس الأسـكندرى فانـه يوضح المعنى المطلوب كثيراً عندما يكتب قائلاً: "إن الابن الوحيد لم ينته بعد من إستعلانه لنا"[٩]. (ου κατεληξεν αποκαλυπτων ημιν ο Μονογενης). ويفسر ما يقوله تباعاً فيضيف بأن عمـل الإستنارة المعطى للكنيسة بواسطة الروح القدس هو عمل الإبن أيضاً. وهذا يعنى أن المسيح قد كشف لنا جزء مـن الحق الإلهى بينما الروح القدس سوف يقودنا بإرشاد إيانا إلى "جميع الحق"، وعلينا أن نطلب ونتضرع للروح القـدس لكى يتمم عمله هذا فينا. ومن أجل هذا فإن السيد الرب قد علمنا أنه من الممكن أن نتعلم أكثر من الروح القدس.

إن قناعة الآباء بأن ما فى تعاليمهم من أمور تنسحب عليها صفة "الإعلان الإلهى" بواسطة عمل الـروح القـدس فيها لهو أمر مؤسس على كلمات السيد المسيح نفسه لتلاميذه عندما قال لهم: "بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعـزى الـروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤:٢٥-٢٦). وأيضاً "وأما متى جاء ذلـك روح الحـق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو ١٦:١٢-١٣).

إن كلمات الرب هذه لتتطلب انتباهاً شديداً من اللاهوتيين فالتحديدات التى تضعها بالنسبة لقضية إستعلان الحقيقة هى عميقة وفى نفس الوقت تمثل أساساً ثابتاً وقوياً لتقييم عطاء الآباء اللاهوتى فيمـا يخـتص بالحقيقـة الإلهيـة وعقيدة الكنيسة. وما سبق أن أشرنا إليه يدل على أن الآباء قد فهموا ما جاء فى أقوال المسيح هذه.

إذن فعلى حسب كلمات المسيح والفهم الصحيح من جانب الآباء لها فإن السيد الرب كانت لديـه أقـوالاً أخـرى يقولها وتعاليماً أخرى يسلمها لتلاميذه ولم يقلها ولم يسلمها، والمعزى الروح القدس سوف يرشد إلـى كـل الحـق ويعلم كل شئ (حسب الحاجة).

وبالطبع فإن كلمات المسيح هذه سوف تقودنا إلى موضع "تدبير الإستعلان الإلهى" بمعنـى إلـى الطريقـة التـى بواسطتها أعلن ا عن الحق الإلهى - عن نفسه. ولكن من الضرورى أن نورد بعض التوضيحات بشأن ما نسـميه هنا "الحقيقة الإلهية".

---

[٧] ذهبى الفم. PG ٥٠،٤٥٤ - العظة الأولى على عيد البندقسطى.

[٨] غريغوريوس اللاهوتى PG ٣٦،٤٥٦ AB - المقالة ٤١ عن الروح القدس.

[٩] كيرلس الأسكندرى PG ٧٤،٥٧٦ - فى شرحة لإنجيل يوحنا الإصحاح ١٢.



فطالما أن السيد المسيح لم يستعلن لنا الحقيقة كاملة وطالما أن فى شخص المسيح لدينا ملء الحقيقة، فهذا يعنى أنه غير محدود، فليس من الممكن أن يستعلن بكل عمقه وعرضه حتى ولو كان ا   الكلمة قد تجسـد. فالتجسـد أو بمعنى آخر "التدبير الإلهى" هو بالفعل إستعلان حقيقى وأصيل لكلمة ا . ولكن هذا الإستعلان وهذا الظهور لا يعنـى أن ا   الكلمة يظهر ويستعلن كل الحقيقة فى كل عدم محدوديتها، فى كل عمقها وفى كل عرضها.

فعندما نقول استعلان الحق الإلهى نقصد الفعل الإلهى ذو الشقين ويتمثل فى الآتى:

ا   يستعلن للإنسان الحق الإلهى بناءاً على خطة، فعن ذلك الإنسان الذى يجاهد ويطلب بتعب وصلاة، يرفع ذلـك الحجاب الذى يعوقه عن المشاركه فى الحقيقة الإلهية وبالتالى يصبح قادراً على أن يعرف الحق الإلهى، أى بمعنـى أن يصبح الإنسان قادراً على تصور الحقيقة الإلهية تلك الحقيقة التى سوف تظل غير محدودة بالنسبة له طالمـا أن الإنسان مازال محدوداً.

وبالتالى فعلى قدر ما يعرف الإنسان المحدود من الحق الإلهى فسوف يظل الحق الإلهى غير مستنفد. أما معيـار تلك المعرفة ومقياسها فهو حاجة الإنسان لكى يخلص، لكى يتحد با   وأيضاً درجة استيعابه لقبول شيئاً جديداً.

ولأن الإنسان يخلص طالما هو مشترك فى الحق الإلهى وطالما هو مستوعب له، فهنا تظهر مشكلة فـى بعـض الأحيان وهذه المشكلة تتمثل فى مدى أصالة هذه الشركة الإلهية وهذا الاستيعاب للحقيقـة الإلهيـة بـين أعضـاء الكنيسة.

ولأن خلاص الإنسان يتوقف على مدى صحة وأصالة هذه الشركة أو عدم أصالتها وصحتها فإن الموضوع يأخـذ أبعاداً واسعة، أبعاد قضية حياه أو موت. وعلى هذا يستطيع المرء أن يدرك مدى خطورة الأمور والمسائل اللاهوتية داخل الكنيسة ولماذا تعددت هذه المشاكل. وبمعنى أخر لقد كانت هناك أموراً كثيرة لم يقلها السيد المسيح، أمـوراً لا تحصى وأن الروح القدس سوف يعطى لنا فيها استنارة. إن عمل الروح القدس المعزى لم يفترض أن إستعلان الرب غير كامل. لأن المسيح هو الإله المتجسد وهو نفسه إستعلان للحق الإلهى فى حد ذاته، وبالتالى فإن إستعلان الحـق الإلهى فى شخص يسوع المسيح هو أصيل وكامل...

لكن هل نستطيع أن نقول إن السيد المسيح الذى هو الحق الإلهى يمكن أن يستنفد؟ هلى تستنفد الحقيقـة الغيـر محدودة؟ بالقطع لا.

وهكذا فا   يستعلن لنا بذاته فى شخص يسوع المسيح لأجل خلاصنا، ويعلم عن شخصـه مـا يضـمن للإنسـان خلاصه، وبينما استمر المسيح فى الكنيسة- ولدينا كل ما قاله لمسيح عن نفسه - فإننا لا نسـتطيع أن نقـول إننـا استفدنا كل الحقيقة (كل المسيح) وهذا يتضح على الأقل من خلال المحاورات اللاهوتية الكبيرة. فهـذه المحـاورات اللاهوتية (عن الثالوث وعن طبيعة السيد المسيح)، تثبت أن المؤمنين مع أنهم كان لديهم الحق الإلهـى (المسـيح) ولكنهم كانوا فى احتياج لفهم أعمق لهذه الحقيقة وذلك لكى يتمكنوا من مواجهة تعاليم آريوس على سـبيل المثـال، مثلما حدث فى حالة أثناسيوس الرسولى الذى واجه تلك التعاليم وهو مستنير نعمة الروح القدس كمـا قـال عنـه القديس غريغوريوس اللاهوتى.

أنه لسر عميق أنه بينما نشترك نحن مع المسيح فإن معرفتنا بالمسيح (الحق) غير المحدود هى معرفة لها حدود.

بعد هذا نستطيع أن نقترب أكثر من مفهوم وعود الرب لتلاميذه بشأن إرساله الروح القدس المعزى لكى يرشد إلى جميع الحق ولكى يعلم كل شئ.

فلقد وعد الرب بأن المعزى سوف يرشدنا إلى فهم أعمق واشمل لنفس هذه الحقيقة. فالحقيقـة "الكاملـة" تعنـى بالطبع ما هو ضرورى ولازم لخلاص الإنسان على مدى العصور.

ولهذا نستطيع أن نفسر تطور المسائل المتعلقة بشخص المسيح داخل إطار الكنيسة. مـع أن المسـيح بشخصـه تحدث عن نفسه كما أن الرسل كتبوا شارحين عمله الخلاصى فقد ظهر أولاً موضوع الثـالوث وبعـد ذلـك جـرت المجادلات حول علاقة الأقانيم الثلاثة الأمر الذى يعنى أن الروح القدس أرشد إلى الحقيقة القائلة بأن المسيح الـذى هو إبن الآب هو من نفس جوهر الآب "οΜοουσιος" (هوموأوسـيوس) له نفس طبيعة وقوة الآب. بعد ذلك ظهـر على السطح موضوع الطبيعتين فى شخص المسيح يسوع. إننا نرصد إذا إنه فى حقل اللاهوت الآبائى هناك إجراءات ثابتة تمثل قاعدة يمكن من خلالها الوصول إلى فهم متصاعد أفضل وبالتالى إلى معرفة أكثر للحقيقة، تلـك الحقيقـة التى قد استعلنت بالفعل فى الكتاب المقدس ولكنها كحقيقة غير محدودة تبقى غير متنفدة.

إن هذا الفهم الأعمق والمتصاعد للحقيقة يتحقق بواسطة الروح القدس الذى يستخدم بعض أعضاء الكنيسة لكـى يصبحوا بهذا الشكل آباء أو معلمين فيها.

وفى عرضهما لمسيرة الإعلان الإلهى المتصاعد هذا فإن القديسين غريغوريوس اللاهوتى ويوحنـا ذهبـى الفـم يبرران هذا التصاعد فى الإعلان الإهى ويؤيدانه. فهؤلاء الآباء يرون أنه: "لم يكن ممكنا للذين كانوا يسمعون السيد المسيح وهو يتكلم عن نفسه أن يفهموه وهو يقول لهم إنه مساو للآب لأنهم لم يكونوا قد استطاعوا أن يفهموا إنـه ابن الآب"[١٠]. ويؤكد القديس غريغوريوس اللاهوتى على جانب آخر للموضوع يقودنا إلى تفسير لاهـوتى لظـاهرة التطور فى فهم الحقيقة الإلهية فيقول إن ا   لم ير حسناً أن يعلن للناس الحقائق الإلهية بـدون أن يريـدوها أو أن يطلبوها بأنفسهم[١١].

وبالتالى فإن شغف الناس فى الكنيسة الأولى وفى فترة ما بعد حلول الروح القدس لإيضاح أكثر وأعمق للحقيقـة يعتبر عاملاً أساسياً لتحقيق هذا الهدف بواسطة ا   نفسه مستخدماً فى ذلك آباء الكنيسة.

وهكذا ففى الفترة التى صيغ فيها تعبير "ομοουσιος" (هوموأوسيوس) أو تلك الفترة التى نوقشت فيها طبيعـة السيد المسيح فإن المؤمنين كانوا يطلبون معرفة هذه الحقائق اللاهوتية بصبر وإصرار ولهذا فإن ا   تراءف عليهم وأوضح وكشف وأعلن لهم نفس الحقيقة الإلهية أو نفس هذا الحق الإلهى الذى هو المسيح، من تلك الناحيـة التـى كانت غامضة عليهم.

---

[١٠] يوحنا ذهبى الفم فى شرحه لأعمال الرسل ٣٦. ١٦١ PG.

[١١] ق. غريغوريوس اللاهوتى - المقال اللاهوتى رقم ٣١: عن الروح القدس ٣٦. ١٦١ PG.



إن آباء الكنيسة ومعلميها هم هؤلاء الأشخاص الذين تعلن بواسطتهم تلك الحقائق، بمعنى أنهم يستخدمون بواسطة ا لنمو الكنيسة فى التعليم والعقيدة كما يعلق القديس يوحنا ذهبى الفم: "ونحن نحب بالحق نحب ا كما نحب القريب وليس لدينا عقيدة كاذبة ولا نعيش فى نفاق، فإننا ننمى كل شئ لجيننا وننمو فى كل حياتنا"[١٢].

٢- الحقيقة التى كتب عنها الآباء هل هى توضيح واستنارة أم إعلان وكشف؟

بعد ما سبق استعراضه يبقى التساؤل عن :

ماهية العطاء اللاهوتى للآباء، أو بمعنى آخر ما هى تلك الحقيقة التى يعبر عنها الآباء كفهم أعمق للحقيقة الإلهية التى سبق أن استعلنت فى الكتاب المقدس ومن خلال التقليد الكنسى؟

أول كل شئ لابد أن نعى أنه حتى وان كنا نتحدث عن فهم أعمق، فإنه ليس لدينا حقيقة إلهية جديدة. فهذا أمر مستحيل. فالقديس ايريناوس[١٣] وهو يتحدث عن ذلك الشئ "الإضافى" الذى يستطيع اللاهوتى الحاذق أن يقدمه يشير بوضوح إلى أن هذا اللاهوتى الحاذق لا يقدم جديداً أو خلقاً جديداً، ولكنه وبطريقة ما فإنه يدخل فى عمق أكثر داخل تلك الحقيقة ويحاول فهم موضوعات التدبير الإلهى معطياً إجابات على المشاكل التى تواجه من يعيشون تلك الحقائق الإلهية.

إذن فطالما أنه ليس لدينا حقيقة جديدة فنحن بصدد توضيح أو تفسير لتلك الحقيقة التى هى موجودة بالفعل. وهذا الأمر لا يقبل الشك بالمرة ولابد أن نلاحظ أن عملية التوضيح فى هذه الحالة هى شئ أكثر وأعمق منه فى حالات وموضوعات أخرى لغوية وتاريخية ولهذا فإن التعبيرات المستخدمه فى تلك الحالات لا تكفى ولا تفى الأمور التى يتناولها الآباء فى مباحثاتهم.

إن الحقيقة التى نحن بصددها هنا لا يقترب منها بطريقة بشرية... تفسيرية وغيرها من الطرق المنهجية وذلك لان تلك الحقيقة لم تستعلن بطريقة طبيعية. هكذا فإن عملية استيضاح تلك الحقيقة تستلزم من الآباء والمعلمين دخولاً إلى داخل هذه الحقيقة الإلهية ومشاركة فيها بطريقة ما أكثر عمقاً وأكثر أتساعاً (إذ صح لنا التعبير) من تلك التى وصل إليها معلمون سابقون فى عصر سابق لهم.

فإن لم يكن الإقتراب للحقيقة والمعرفة هما شئ كامل (ولن يتم هذا حرفياً) فحينئذ ستصبح عملية الاستيضاح هذه هى عملية غير كافية وفى حالات كثيرة تصبح عملية خطيرة لأنه من السهل أن يقدم لاهوتى تفسيراً على أنه أصيل وسليم ويكون فى الواقع هو نتاج فكرى وعقلى وغير واقعى وحينئذ سنكون أمام ظاهرة الهرطقة بعينها.

فمثلاً فى حالة العلاقة بين الآب والابن، فإن عملية استيضاح الحقيقة هنا تعنى التعبير عن تلك العلاقة بمصطلح "ομοουσιος" (هومواوسيوس) ذلك التعبير لا يوجد فى الكتاب المقدس بالحرف الواحد بل إن النصوص المتعلقة به (بهذا المصطلح) لو فسرت بالطرق والوسائل الفلسفية فقط فإنها لن تقودنا إلى فهم واضح لمعنى المصطلح "ομοουσιος" (هومواوسيوس)، وعندما مر حوالى قرنين، ساد خلالهما الشك بسبب الفكرة القائلة بخضوع الإبن

---

(١٢) ذهبى الفم فى شرحه لرسالة أفسس PG ١٢٤, ١٠٨٨D- ١٠٨٩A.

(١٣) ايريناوس ελεγχος, AX3.

للآب (Subordination) فى القرنين الثانى والثالث. انتهت الكنيسة إلى حقيقة عبرت عنها باصطلاح "ομοουσιος" (هوموسيوس).

فلو أن النصوص المتعلقة بهذا الأمر أوضحت بشكل مباشر معنى هذا المصطلح لما عرفت الكنيسة تلك المشاكل لمدة قرنين من الزمن. وعندما توصلت الكنيسة إلى إيضاح لمعنى الحقيقى لهذا المصطلح الذى يتعلق بخلاص أو أهلاك المؤمنين، فإن هذا يعنى أنها وصلت إليه بإستعلان أو إستنارة إلهية.

إن الأب أو المعلم يستنير أو يصبح قادراً على استيعاب الحقيقة بصفة أعمق بمعنى أنه يمتلك خبرة أوسع لتلك الحقيقة وهكذا يستطيع أن يقول أو يعلم شيئاً إضافياً عما قيل من قبل.

وهذه الإضافة هى التى تميز وتفرز كاتبها وتجعله يكون أباً ومعلماً فى الكنيسة، فعطاء وتقدمة ومساهمة الآباء توصف بأنها إستعلان إلهى وهى بالفعل كذلك لأنها نتيجة لإستنارة الروح القدس كما يقول القديس غريغوريوس اللاهوتى وأيضاً يعلق القديس أثناسيوس بأن ا كشف لبعض الأشخاص اللاهوتيين شيئاً لم يستطع غيرهم أن يفهموه ولهذا يشجع أن نلجأ لمثل هؤلاء الأشخاص الذين كشفت لهم الحقيقة أكثر من الآخرين[١٤].

وفى مقالة اللاهوتى الثانى يعطى غريغوريوس اللاهوتى للروح دور "الموحى" وفى مقالة رقم ٤١ عن يوم الخمسين يطلب قائلاً: "فليرافقنى الروح لأعطى كلمة"[١٥] ليكتب ما كتب عن ماهية الروح القدس... فهو يؤمن أنه لا يستطع أن يكتب فى أمور لاهوتيه وعقائديه بدون أن يكون الروح القدس هو لب هذا العمل. والشخص الذى سيكتب فى هذه الأمور تحت هذه الشروط لن يحصل بالقطع على خبرة الحقيقة الإلهية فى أبعادها اللانهائية، لن يعرف "كل شئ" فى الحقيقة فى عمقها وعرضها، لكنه سيحصل فقط على شئ "إضافى" أزيد مما حصل عليه شخص آخر فى تقليد الكنيسة.

هذا اللاهوتى الذى يحصل على ذلك الشئ "الإضافى" فيما يتعلق بإستعلان الحقيقة الإلهية، يدعوه غريغوريوس اللاهوتى "بالأفضل" وهو شخص قديس تدعوه كل الكنيسة الأب أو المعلم. هذا وقد ذكرنا من قبل أن الشئ "الأضافى" أو الشئ "الأكثر" الذى يحصل عليه ذلك اللاهوتى يوصف بأنه يتم بإستنارة من ا . وإنه لشئ واضح أن القديس غريغوريوس وهو يقيّم عطاء القديس أثناسيوس الرسولى وإضافاته فيما يختص بحقيقة الروح القدس فإنه يرجع هذه الإضافة إلى الكشف الإلهى الذى أعطى للكنيسة لأول مرة بواسطة القديس أثناسيوس.

٣- عطاء الأب والمعلم هو توسع فى المعرفة الإلهية وليس تطوراً لها :

لقد قدم الآباء وهم مستنيرون بالروح القدس، على طول مسيرة الكنيسة، شيئاً إضافياً فى إيضاح الحقيقة الإلهية.

وهكذا فعلى الأساس الكتابى وذلك الشئ الإضافى الذى يقدمه الآباء يكون لدينا لبنة ما نسميه بعلم اللاهوت، وهو العلم الذى يتعامل مع القضايا اللاهوتية بعد أن يمحصها بطريقة دقيقة ومجهود كبير لكى يعبر عن الحقيقة الإلهية مستخدماً فى ذلك الوسائل والطرق اللغوية والتاريخية.

---

(١٤) القديس أثناسيوس: عن المجامع ٣، ٤٠.

(١٥) ق. غريغوريوس اللاهوتى PG ٣٦, ١٢٥ BC.



ولكن هل يعنى النمو فى علم اللاهوت والمدعم بمشورات الآباء وآرائهم اللاهوتية أنه قد حدث تطور فى الإعلان الأول (الأصلى)؟ أم شئ آخر. وبمعنى آخر حسّن الآباء وطوروا ما قد استلموه من الرب ومن الرسل ومن سـبقوهم من الآباء؟ بالقطع لا.

فما يوجد فى الكنيسة كحقيقة هو شئ حق وأصيل ولا يقبل إعادة نظر وتطوراً. وذلك لأن أية تعاليم عن الإعـلان الإلهى هى تعاليم من الرب ولأجل خلاص الإنسان وهذه تبقى حقائق ثابتة على مر العصور من القـرن الأول وإلـى اليوم وإلى آخر الدهور.

فلو كان ما يقدمه علم اللاهوت هو تطوراً للحقيقة فإن هذا يشككنا فى أصالة الكنيسة فى كل عصـر يظهـر فيـه عطاء جديد للآباء الأمر الذى يعنى فى الواقع إنكار لماهية الكنيسة نفسها.

إن أراء الآباء اللاهوتية والعقيدية هى تمثل خبرة روحية ومعرفة للحقيقة تضاف إلى الخبرات السابقة فالكنيسـة تتقدم عن طريق معلميها فى المعرفة الإلهية للحقيقة بواسطة عمل الروح، فهى تعيش فى مراحل معينة ظاهره نمو، ليس نمواً للحقيقة ولكن فى خبره الحقيقة الإلهية.

فالحقيقة الإلهية نفسها لا تقبل الزيادة أو النقصان لأنها تتطابق والواقع الإلهى. والشئ الوحيد الـذى يمكـن أن يحدث هو أن يتمكن الإنسان من أن يختبر هذه الحقيقة بطريقة أوسع، وبهذا الشكل فنحن لدينا "اسـتكمال" لخبراتنـا بالحقيقة الإلهية بما يتناسب مع المشاكل اللاهوتية التى تواجهنا بين الحين والآخر.

وفى المصطلحات اللاهوتية المعتادة فإننا نسمى بالحقيقة الإلهية كلاً من "الواقع الإلهى" نفسه وخبرة هذا الواقـع الإلهى والمعرفة الحية بهذا الواقع الإلهى.

وهذا ربما يسبب الخلط وسوء الفهم الحادث فى بعض الأحيان، ولهذا فإننا نريد أن نوضح وبكـل الطـرق أنـه بالنسبة للآباء الذين أضافوا إلى التعليم والتقليد الكنسى والعقيدة فإنهم يضيفون فقط خبرة ومعرفة بالحقيقة الإلهيـة وهذا يتضح من موقف القديس باسيليوس الذى واجهه نفس سوء الفهم هذا والذى يرى أنـه لا يجـب أن نضـيف حقائق إلهية أو عقائد أخرى فى الكنيسة ولكن خبرات وإضافات تتعلق بمعرفتنا للحقيقة ذاتها[١٦].

وأخيراً نود أن نذكر بعض الموضوعات التى كان العطاء اللاهوتى للآباء فيها لا ينطبـق تمامـاً مـع النصـوص الكتابية بالرغم من أنه لم يكن غريباً عن روح الكتاب نفسه. مثل قانون الكتاب المقدس، بتولية والدة الإله القديسـة مريم، تكريم القديسين، إكرام الأيقونات. هذه الموضوعات، على وجه العموم تواجه بطريقة سليمة من ذلك الشخص الذى يعيش فى التقليد الأصيل بداية من الكتاب المقدس ووصولاً إلى مشاركات الآباء اللاهوتية. أما حقيقة أننا لا نجد بعض المصطلحات مثل تعبير "ομοουσιος" (هومواوسيوس) فى الكتاب المقدس فإن هذا لا يقلل من شأن مشاركة الآباء هذه فى قضايا بمثل هذه الأهمية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الامثلة السـابقة التـى ذكرناهـا تمثـل موضوعات إيمانية وتعبر عن قرادة هؤلاء الآباء وعن أرثوذكسيتهم، فنحن أمام سيرة مقدسة.. تتوافق نهائيـاً مـع غاية التاريخ البشرى.

---

(١٦) القديس باسيليوس: الرسالة ٥:٢٢٣ PG ٣٢, ٨٢٩B.

٤- الآباء دخلوا إلى "الشئ المخفى" أو إلى "البهاء المتوارى" فى النصوص الكتابية :

إن آراء الآباء ومعلمى الكنيسة بالنسبة للخبرة والمعرفة بالحقيقة الإلهية ليس هو بالأمر المستقل أو المنعزل بـل هو استمرار وتوسع لواقع معين، هذا الواقع الذى يحتويه الكتاب المقدس ولهذا فكل ما يحدث فى حياة الكنيسة هـو مرتبط بشده بالحقيقة المعبر عنها داخل الكتاب المقدس.

فالآباء بالتالى كتبوا كتاباتهم اللاهوتية على أساس كتابى فالجانب الأعظم من كتاباتهم كان يتعلق بجوانـب تلـك الحقيقة الإلهية الواردة فى الكتاب المقدس، وذلك لأن الآباء كانوا يؤمنون فى داخل ضمائرهم بأن الكتاب المقدس هو كتاب "موحى بـه" يعبر عن حقيقة إلهية وواقع أصيل وفريد، لقد رأوا أن الكتاب المقدس هو تعبير عن الحقيقة الإلهية وليس الحقيقة الإلهية عينها وذلك بالطبع لأن الحقيقة نفسها لا يمكن لأى كتاب أو أى شكل أن يستوعبها.

لقد كانت لديهم القناعة بحقيقة أن نصوص الكتاب المقدس هى تعبير وشكل، وهى نوع من الكتابة التى تسـتخدم بطريقة تناسب كل الأحداث ليفهمها القارئ وهى تعبر عن وجهات خلاصية للحقيقة الإلهية.

ولقد تحدث الآباء دائماً عن ضرورة الدخول إلى ما هو "مخفى" أو إلى ذلك "البهاء المتوارى" والذى يوجد خلف أو أسفل أو أبعد من الحروف الكتابية وهم يتحدثون عن هذا لأن إسهاماتهم اللاهوتية كانت وظهرت أنها مرتبطة بشـده بالحقيقة الكتابية الإلهية.

فالجديد الذى يقدموه هو جديد بالفعل بالنسبة للنصوص الكتابية ولكنه فى نفس الوقت يمثـل فقـط تعبيـراً عـن وجهات أخرى لنفس الحقيقة الإلهية الواحدة التى كانت مختفية بين سطور النصوص الكتابية.

وبتشديدهم على هذه النقطة فإن الآباء خلقوا معياراً ومقياساً لصـحة أو زيـف أيـة إسـهامات وآراء يقـدمها اللاهوتيون الكنسيون بمعنى أنه لو كان هذا الجديد الذى يقدم بين الحين والآخر كتعبير عن الشئ "المخفى" للحقيقـة الإلهية أو عن "البهاء المتوارى"، يشهد ويوافق ويمثل امتداداً طبيعياً لتلك التى عبر عنها من خلال النصوص الكتابية لكان هذا الجديد أصيلاً وصحيحاً ولكان نتيجة طبيعية لعملية إستنارة حقيقة بالروح القدس، الأمر الـذى يمكنـه أن يشكل يقيناً وإيماناً وتقليداً للكنيسة.

ولابد أن نذكر أن الآباء هم فقط الذين أتبعوا هذه الطريقة للدخول إلى ما هو "مخفى" أو إلى ذلك "البهاء المتوارى" بين نصوص الكتاب المقدس.

ولهذا فإن أعمالهم وكتاباتهم هى إضافات أصلية وصحيحة تعبر عن شرح ما هو موجـود بالفعـل داخـل هـذه النصوص. على العكس من هذا فإن الهراطقة اتبعوا طريقة أخرى، فقد أظهروا تمسكاً شديداً بالنصوص وشجبوا كل ما هو غير موجود بها. وعبروا عن أراء فى بعض الأمور لا تشهد ولا توافق ما عبرت عنه صراحة تلك النصوص. لقد زعموا مرات كثيرة، ولكن يبرروا مواقفهم وأراءهم اللاهوتية غير الصحيحة هذه، أنهم يملكون تقليداً من رسائل رسولية شفوية.

من الأمثلة التى تبين وجهات ذلك شئ "المخفى" أو ذلك "البهاء المتوارى" فى الحقيقة الإلهية والتى لم يعبر عنـه صراحة فى نصوص الكتاب المقدس، ان الروح القدس إله مساو (ομοουσιος). لقد كان القـديس غريغوريـوس

اللاهوتى هو المعبر الأساسى عن ألوهية الروح القدس ولقد اعتمد فى كتاباته على ما قد سبق أن قدمه القديس أثناسيوس.

فالكتاب المقدس لم يذكر صراحة أن الروح القدس هو مساو للآب فى الجوهر وأن له نفس طبيعة الآب، ومع ذلك فإن حقيقة مساواة الروح القدس بالآب فى الجوهر تتفق تماماً وتشهد بما جاء فى الكتاب المقدس عن ذلك الأمر. وهذا يقنعنا أن اصطلاح "ομοουσιος" (هومواوسيوس) هو تعبير أصيل لوجه الحقيقة الإلهية هذه والغير واردة فى الكتاب المقدس الذى يتحدث عن الحقيقة الإلهية بالنسبة للروح القدس بصفة عامة. وعليه فلقد توصل القديس غريغوريوس لحقيقة ألوهية الروح القدس بفهمه العميق للكتاب المقدس من ناحية وبواسطة إنارة الروح القدس له من ناحية أخرى لأنه هو نفسه يقول: "فقط عن طريق ا يستطيع الإنسان أن يعرف أشياء كثيرة عن ا "[١٧] وفى نفس المقال يستطرد فيقول: "أنه من الضرورى للإنسان أن يقتنى نعمى (التفكير المشترك) مع الروح القدس لكى يعرف ماهية الروح القدس".

إن دخول الآباء إلى "البهاء المتوارى" للحقيقة الإلهية هو عمل لا نستطيع أن نحلله بالمنطق فهو عمل يتم عن طريق معطيات وقوانين لا يمكن فحصها بعمل المنطق البشرى - بالرغم من أن الواقع الروحى للمعرفة الإلهية وبالتالى لعلم اللاهوت يرتبط بالإلتزام والتوافق المنطقى - فإن المعرفة الأشمل للحقيقة الإلهية لا تتم فى غياب أو بالإنفصال عن قوى الإنسان الفكرية بصفة عامة. فعندما نتكلم عن إستنارة الروح القدس فإننا نعنى أن عقل الإنسان يتسع بقوة الروح القدس فيه فيصبح قادراً على أن يفهم وبالحرى يقبل حقائق أكثر مما قبل، فيصل إلى نتائج لم يكن يعرف من قبل حتى بمجرد وجودها.

وأخيراً فإن الآباء عاشوا فى أحضان الكنيسة، والكنيسة عاشت وتعيش تعاليمهم وتقواهم التى اعتبرتها دائماً أصلية وأرثوذكسية... وفى ضميرها الحى رأت فيهم استمراراً وامتداداً للرسل.

فقد سلم الرسل الأثنى عشر خدمتهم الشخصية - وهى التعليم - لآباء الكنيسة كما يقول القديس إيريناوس[١٨].

وهذا ما دعا كنيستنا الملهمة بالروح أن تلقب مثلا أباً ومعلماً فيها وهو القديس أثناسيوس بلقب الرسولى أى أنه امتداد للرسل فى القول والفعل.

فترتل له قائلة: "أيها الراعى الأمين الذى لقطيع المسيح البطريرك المكرم أثناسيوس رئيس الكهنة الذى بتعاليمه المقدسة ملأت العالم كله... الذى صار رسولاً مثل التلاميذ فى القول والفعل"[١٩].

كما أن الكنيسة اليونانية تكرمه فتقول: "أيها الأب... إن النسمة الحاملة الحياة، نسمة روح المسيح التى حلت قديماً من العلاء فى البرية وانسكبت على التلاميذ قد انبثت فيك بجملتها كما يليق با فأظهرتك رسولاً ثالث عشر كارزاً بالإيمان المستقيم الرأى"[٢٠].

---

[١٧] ق. غريغوريوس اللاهوتى: ٦٥:٤٣ AB ٣٦،٥٨٤ PG.

[١٨] إيريناوس: Ελεγχος 3,1.

[١٩] ذكصولوجية فى يوم تذكار الآية العظيمة التى صنعها الرب مع القديس أثناسيوس يوم ٣٠ توت.

[٢٠] الأودية الرابعة لأثناسيوس. يو ١٨ كانون الثانى.



د. جوزيف موريس فلتس - أ.جورج عوض

سنتناول فى هذه المحاضرة علاقة آباء الكنيسة بالكتاب المقدس وذلك من خلال محـوريين: المحـور الأول هـو "الكتاب المقدس - كلمة " وكيف فهم الآباء هذا التعبير، وكيف كانت كلمة من أساسيات الحياة الروحيـة عنـد الآباء. والمحور الثانى هو "مدارس التفسير وسمات التفسير الأرثوذكسى".

١- الكتاب المقدس - كلام الله :

أ- قولنا إن الكتاب المقدس هو كلام ا يعنى فى مفهومنا فى المقام الأول أن ا إله حى، وأن هذا الإله الحى هو صاحب مبادرة نحو الإنسان، ذلك المخلوق الوحيد القادر على أن يفهم ويتواصل عن طريق الكلام، حيث وهبه نعمـة العقل والنطق..

لكن ما قيمة هذه المبادرة، مبادرة ا الحى، وما معناها؟

كون أن ا إله حى أمر جوهرى بالنسبة لإيماننا ذلك أن الإنسان الأول - نتيجة السقوط - أنفصل عن ا الأمـر الذى أدى إلى موت الإنسان، وتزايدت شروره، فلم يفقد فقط إيمانه با بل وصدق أكذوبة الحية بأنه أصبح هو ا . وكانت الخطوة التالية فى مسيرة الإنسان نحو الهلاك. إذ عاد فخلق هو ا على صورته ومثاله بعد أن كان مخلوقـاً على صورة ا ومثالة، وفى ضلال الإنسان وانحداره فى طريق الموت لم يع خطورة ما فعل، غير أن ا الذى يدرك أبعاد خطورة ذلك التصرف قد وعاه تماماً فأعلنه أمامنا بكل وضوح، وسجله لنا من محبته وبمبادرة منه فى الكتـاب حتى يساعدنا فى إصلاح أنفسنا ورجوعنا إليه.

لقد "خلق" الإنسان الساقط ا بواسطة عناصر الأرض صانعاً إياه منحوتات وأصنام، ثم طورها بفكـره وعقلـه، جاعلاً منها آلهة كاذبة (غير حقيقية) لنفسه واهباً إياها "موهبة النطق" الغاش متمادياً فى ذلك فى شروره وطغيانه.

ويصف القديس أثناسيوس الرسولى هذه المراحل فى كتابة ضد الوثنيين فيقول: "فى البدء لم يكن الشر موجوداً.. غير أن الناس فيما بعد بدأوا يخترعونه ويحكمون صنعه لضررهم، ومن ثم اخترعوا الأصنام أيضاً حاسـبين غيـر الموجود كأن له وجود"(١).

ويستطرد القديس أثناسيوس ويقول فى الفصل الثامن من نفس الكتاب "وإذا لم تقنع النفس البشرية باختراع الشر بدأت بالتدريج تجترئ على ما هو أسوأ وأشر.. ولذلك فإنها وقد تحولت وتناست أنها كانت على صورة ا الصـالح

(١) ضد الوثنيين : ترجمة القس مرقس داود، نشر مكتبة المحبة، فصل ١:٢.

لم تعد بالقوة التى فيه ترى ا الكلمة التى خلقت على مثالة ولكنها إذ ابتعدت عن نفسها صارت تتوهم وتتخيل مـا ليس له وجود...".

والنتيجة الحتمية لهذا الوضع كانت كالآتى "وإذا ارتبكت وسط تأثيرات هذه الأشياء توهمت أن ا الـذى نسـيه تفكيرها يوجد فى الأشياء الجسدية المنظورة، معطية الأشياء المنظورة إسم ا وممجدة فقط تلـك الأشـياء التـى تهواها والتى تبهج أنظارها"[٢].

وهنا يكمن معنى وأهمية أن الإله الحى المتكلم بالحق، فمقابل الآلهة الكاذبة نجد الإله الحى، ا يتكلم فى مبـادرة منه نحو الإنسان الساقط. هذا شئ مختلف إلى أبعد حد، وجديد، شئ عظيم بالفعل. فإلى الآن كل منا يصـنع أحيانـا إلهة، إلهة المائت الذى يظهر كلامنا نحن، إلهة الذى يحبه ويحب ذاته فيه، فكل منا يحب فكرته، فأنا الذى يتكلم فـى الحقيقة عندما يتكلم إلهى الذى أصنعه بفكرى، لهذا نستطيع أن نقول أن الكتاب المقدس، كلام ا ، هو مختلف. عـن كافة الكتب البشرية، هو الكتاب الذى يقودنا إلى ما بعد الكلام البشرى ليدخلنا مباشرة إلى كلام ا ، إلى سر ا . إن كل ميزات الكتاب المقدس وصفاته ناتجة عن صفته الرئيسية هذه: الكتاب غير سائر كتب الناس[٣].

ب- والكتاب كلام ا يعنى أن ا يعلن ذاته حيث يتكلم. فكل منا يظل غير "معروف" إلى أن يتكلم فيعلن ذاته إلـى حد ما، ونقول إلى حد ما بسبب عجز اللغة البشرية عادة عن أداء ذلك، على عكس ذلك فـإن كـلام ا يعلـن ا وبصدق لذا نستطيع الإقتراب إليه دون خوف من خطر التضليل أو خشية الخديعة.

ج- كلام الله ذا قوة وفعل : هذه القوة وهذا الفعل قادر على تحريك الذهن وضبط الفكر وتقويم السلوك، هى قوة يمكن أن تسيطر على كل الكيان البشرى بل وعلى ضبط الخليقة كلها. هو كلام ذو فاعلية، وهذه الفاعلية لها هـدف وتوجـه وغاية. فهى تحرك من يسمعها ويستجيب لها ويطيعها وتوجهه لتصل به إلى ا غاية كل أحد وشهوة كل نفس، كما سيأتى الحديث. فا يتكلم ويفعل ويوجه ويقود إليه.

د- الكتاب كله موحى به من الله : لهذا فهو صادق، لكن معناه لا يكون فى حرفيته بل فى فهمنا لـه روحيـاً وهـذا المفهوم الروحى استمدته الكنيسة وعاشته وبشرت به إنطلاقاً من قاعدة أساسية ألا وهى المسيح والكنيسة.

وقد يظن البعض أنهم يكرمون الكتاب بقولهم أن كل كلمة فيه هى من ا ... التكريم هنـا لـيس بـالطبع لـيس للحروف فإن تكريم الحرف نوع من عبادة الأصنام، وكما هو معروف فالحرف يقتل والروح يبنـى، فـالحرف ضـد الروح. وما ينطبق على حروف الكتابة يسرى أيضاً على تكريم الأيقونات، أيقونة القديس. فالأيقونة خشب والقديس إنسان والكتاب أحرف ولكننا عندما نكرم الأيقونة والقديس والإنجيل لا نكرم بالطبع المادة التى صنعت منها الأيقونـة أو شخص القديس أو حرف الكتاب وإنما نكرم حضور ا الحى المخفى والمعلن فى وقت واحد فى كل من الأيقونـة والقديس والإنجيل..

---

[٢] ضد الوثنيين : ترجمة القس مرقس داود، نشر مكتبة المحبة، فصل ٨: ٢،١.

[٣] الارشمندريت أندرية سكريما : مدخل إلى الكتاب المقدس، منشورات النور، لبنان ١٩٧٨ ص١٣. حيث هذا الكتاب أحد مراجـع الموضـوع الرئيسية.



وهنا نأتى إلى قيمة الحروف التى تشكل كلمات هى فى مجموعها نص الكتاب إن حرف الكتاب هو من "ظهـورات" ا ، يتراءى ا بواسطته ويستعلن إنه علامة لمن يقرأ بأمان، تدل على حضور إلهى من خلال كلام إنسـان ونـص بشرى، هذا الحضور لا ينزع من الكاتب حريته كإنسان مفكر عاقل ذو ملكات فكرية ولغوية وشعرية[٤].. لكنه حضور يعطى للكاتب قوة وإمكانية للتعبير عن كلام ا بكلامه البشرى وتساعده فى استيعاب معنـى "الرسـالة" والبشـرى المقدمة التى بادر ا بالتكلم بها منذ القديم بالآباء والأنبياء وفى أخر الزمان فى إبنه الوحيد (عب ١٠).

إن الحقيقة الإلهية الأزلية توجد فى الكتاب المقدس تحت شكل الحقائق الإنسانية وهذه الحقائق نفسها معبر عنهـا حسب وسائل النطق الإنسانى بما فيه من محدودية بغير أن تحد بالطبع حقيقة وقيمة الإعلان الإلهى ذاته.

إن ا هو المسئول الأول عن الكتاب المقدس، فهذه هى مبادرته نحو الإنسان ليتكلم ويعلن ذاته فى ابنه الوحيـد وليسجل لنا هذا الإعلان فى الكتاب المقدس وا هو المحدد لمحتواه وصاحب المبادرة فيه كما سبق القـول، وهـو واضع الغاية والقصد منه.. ولذا فنحن لا نهتم بالحرف بل بالرسالة.

وأخيراً فإن كل ما يمكن أن يقال فى ماهية الكتاب المقدس ومحتواه وقيمته وما إلى غير ذلك، يجب ألا يهـدف إلا إلى غاية واحدة وهى أن نفهمه وتنفتح أعيننا على تفسيره الصحيح[5] كى نستفيد منه الإستفادة المرجوة فى حياتنـا الروحية وعلاقاتنا با والآخرين. وهذا ما عبر عنه القديس إيلاريون قائلاً: "إن الكتاب المقدس ليس بقراءتـه بـل بفهمه".

كلمة الله من أساسيات الحياة الروحية عند الآباء :

لقد فهم وعاش آباء الكنيسة الكبار حقيقة أن كلمة ا هى من أساسيات الحياة الروحية بل وعلموا بهذه الحقيقة وتركوها لنا وصية فى كتاباتهم.

فالإعلان الإلهى دون فى الكتاب، وبه تبدأ معرفتنا ، وكلمة ا حية وفعالة، وكلما ازددنا فهمـا لهـا وازددنـا إصغاء لوصيتها كلما ازداد فعلها وحلولها فينا. فغاية مطالعتنا لكلمة ا هى حلول الكلمة فينا[٦].

ولقد عبر الآباء عن خبرتهم الروحية هذه، ودور كلمة ا الحية والفعالة فيها.

نجد أن القديس يوحنا ذهبى الفم والذى اشتهر بهذا اللقب بسبب كثرة عظاته وتأملاته وشرحه واستخدامه لكلمـة ا ، نجده فى أحد عظاته يصف الكتب المقدسة قائلاً: "نعم، إن قراءة الكتب المقدسة هى روضه، بل هـى فـردوس أيضاً لا يقدم زهوراً فحسب بل ثماراً تقدر أن تقوت النفوس"، وفى موضع آخر يقول: "طوبى للرجـل الـذى فـى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً لأن من يجلس قرب ينبوع الكتاب المقدس مرتوياً مـن مياهـه على الدوام يتقبل فى نفسه ندى الروح القدس".

---

[٤] هذا يفسر التنوع فى نصوص الكتاب الذى يرجع لتنوع قدرات من كتبوا هذه الأسفار.

[٥] راجع أوشية الإنجيل فى صلاة الليتورجية.

[٦] الأب إلياس مرقس: الكتاب المقدس مدخل إلى حياتنا الروحية "الكتاب المقدس فى حياتنا الشخصـية منشـورات النـور لبنـان ١٩٨٣ ص٧٠.



إن انقيادنا لكلمة الله وإعطائها فرصة فى داخلنا لكى تثمر دليل على إننا نختلف كأولاد الله السامعين والعاملين عن أولاد العالم وهذا ما يوضحه القديس مقاريوس الكبير فى العظة ٤٦ من عظاته إذ يقول: "إن الإنسان العالمى الذى تمتلكه الرغبات الجسدية، إذ حدث أنه سمع كلمة الله فإنه يختنق ويصير كمن لا عقل له، وذلك لأنه اعتاد على خداعات الخطية، فحينما يحدث أن يسمع مثل هذا الإنسان عن الله فإنه يحس بثقل شديد وينفر من كلام الله كأنه حديث سخيف متعب. وكأنه قد أصيب بمرض من هذا الكلام الإلهى".. كما يقول الرب إن من تحاصره هموم هذه الحياة وتربطه الرباطات الأرضية: "يختنق ويصير بلا ثمر لكلمة الله" (مر ٤:١٩).

وهنا أيضاً تكمن قوة الكلمة كمعين للإنسان فى صراعاته ضد الخطية كما يركز ذهبى الفم "معرفة الكتب المقدسة تقوى الروح وتنقى الضمير وتنزع الشهوات الطاغية وتعمق الفضيلة وتتسامى بالعقل وتعطى قدرة لمواجهة المفاجآت غير المستقرة، وتحمى من ضربات الشيطان وتطلقنا إلى السماء عينها"[٧].

غير أن القراءة فقط للكتاب المقدس لا تكفى بل يجب أن تقودنا هذه القراءة إلى المسيح نفسه كلمة الله المتجسد فتكون لنا شركة معه لنتمتع بالامتيازات الخاصة والهبات الفريدة التى منحها لنا الله بتجسد إبنه الوحيد من أجلنا ومن أجل خلاصنا وهى أن نصير شركاء الطبيعة الإلهية، ومن عظة رائعة للقديس مقاريوس الكبير يلخص هذا فيقول: "كما أن الملك يكتب رسائل لأولئك الذين يريد أن ينعم عليهم بامتيازات خاصة وهبات فريدة، ويقول لهم: "بادروا بالمجىء إلى سريعاً لتنالوا منى الهبات الملوكية" فإذا لم يذهبوا ويأخذوها فإن مجرد قراءة الرسائل لا تفيدهم شيئاً بل على العكس فإنهم يكونوا معرضين لخطر الموت لأنهم رفضوا أن يأتوا لينالوا الكرامة من يد الملك، هكذا الله الملك الحقيقى، قد أرسل الكتب المقدسة منه للبشر وهو يعلن عن طريقها للناس أنها ينبغى أن يأتوا إلى الله ويدعونه بإيمان ويسألوا ويأخذوا الموهبة السماوية من اللاهوت نفسه لأنه مكتوب لتصيروا شركاء الطبيعة الإلهية ولكن إذا لم يأت الإنسان ويسأل وينال فإنه لا يستفيد شيئاً من قراءة الكتاب بل بالحرى فإنه يكون فى خطر الموت لأنه لم يرد أن يأخذ عطية الحياة من الملك السماوى التى بدونها لا يمكن الحصول على الحياة الأبدية غير المائتة التى هى المسيح نفسه". ويؤكد القديس غريغوريوس الكبير هذا المعنى عندما يقول إن الكتاب المقدس رسالة من الله إلى خليقته فالكتاب المقدس يحمل إلينا الله، إذن فالكتاب المقدس هو كتاب الخلاص، ذلك الخلاص الذى تنبأت عنه أسفار العهد القديم وتحقيقه بمجىء الرب فى الجسد وعمله الخلاصى من أجلنا واستعلنه وقدمه لنا فى العهد الجديد هو "البشارة المفرحة" بالخلاص.

٢- مدارس التفسير وسمات التفسير الأرثوذكسى :

فى بحثنا المختصر لموضوع مدارس التفسير وسمات التفسير الأرثوذكسى، سوف نركز الشرح على القديس كيرلس عمود الدين كمفسر للكتاب المقدس إذ هو نموذج عظيم لواحد من آباء الكنيسة الذين عاشوا سر "الإعلان الإلهى"، ذلك السر الذى كشف وتحقق بتجسد السيد المسيح ومن خلال عمله الخلاصى من أجلنا ومن أجل خلاصنا، وبشر به "بشارة مفرحة" بالإنجيل.

---

[٧] أنظر P.G.٦٣, ٤٨٥.

ومن خلال دراستنا لطريقة تفسير القديس كيرلس للكتاب المقدس نستطيع أن نتبين مدارس التفسير التى كانت سائدة فى العصور الأولى، وكيف تعامل معها القديس كيرلس بحكمة ووعى روحى ليقدم لنا فى النهاية سمات التفسير الأرثوذكسى والتى يمكن فهمها من خلال الملامح الأساسية الآتية:

١- الأساس الخريستولوجى : إذ أن الإيمان الصحيح بسر التجسد والفداء هو ضرورة أساسية للتفسير السليم، إذ أن الكلمة المتجسد هو القانون والمعيار الذى يقاس عليه التفسير الأرثوذكسى.

٢- الأساس الروحى : إذ أن الكلمة المكتوبة لها مفهومين، تاريخى وروحى. والذى يقودنا إلى التفسير الصحيح هو الإيمان إذ هو يسبق المعرفة، إذ بواسطة الإيمان يصل الإنسان إلى المعرفة الكاملة. والإيمان هنا هو المعرفة الصحيحة عن ا داخل حياة الفضيلة.

٣- الأساس الكنسى : حيث يلجأ القديس كيرلس دائماً إلى التعاليم والخبرة الكنسية معبراً أن التقليد الكنسى هو المرشد والضامن للتفسير الكتابى السليم. ويركز على حقيقة الوحى الإلهى وحضور الروح القدس فى الكنيسة، وعلى أهمية التقليد الذى يشمل الإيمان المستقيم والعقيدة الصحيحة، وعلى العبادة الليتورجية داخل الكنيسة، وعلى الحياة الروحية فى الفضيلة.

القديس كيرلس الأسكندرى كمفسر للكتاب المقدس [8] :

يعتبر القديس كيرلس الأسكندرى (٣٧٠-٤٤٤م) من المفسرين العظماء للكتاب المقدس فى تاريخ الكنيسة، وبينما اتبع الطريقة الأوريجانية لتفسير العهد القديم، ظل محافظاً على العقيدة من سوء التفسير الرمزى. إن العقيدة الخريستولوجية ضد (آريوس، نسطور، أبوليناريوس، افنوميوس) تمثل الأساس لفهم كل شروحاته وتفسيراته للكتاب، وهو يربط ربطاً محكماً بين الشروحات وعقيدة الكنيسة.

ولأن القديس كيرلس ربط بين التفسير واحتياجات الكنيسة التعليمية فى عصره فقد يفهم إنه انطلق من العقيدة ليفسر الكتاب ولكن العكس صحيح. بدون شك لا ينتمى القديس كيرلس إلى المتطرفين الغيورين للتفسير الرمزى وفى نفس الوقت لم يوجد معادياً للمدرسة الأنطاكية فلقد استخدم الرمزية (αλληγορικη) مع النموذجية (النمطية) أو المثالية (Τυπολογικη).

إسهامات القديس كيرلس كمفسر للكتاب المقدس :

أ- العهد القديم :

إن تفاسير القديس كيرلس للعهد القديم تعتبر من أقدم كتاباته، فقد كتب "*العبادة بالروح والحق*" فى صورة حوار بينه وبين بلاديوس، وهو شرح رمزى ونمطى، ويشمل الكتاب ١٧ فصلاً.

وموضوع الكتاب الرئيسى كيف أن الناموس قد ألغى فقط بحسب الحرف وليس بحسب الروح.

---

[8] عن كتاب القديس كيرلس الأسكندرى - حياته وأعماله، أعمال المؤتمر السنوى السادس للدراسات الآبائية، بياض بنى سويف ١٩٩٧، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، سلسلة دراسات آبائية رقم (١٣) سبتمبر ١٩٩٨، ص ١٩-٣٤.



في رأى القديس كيرلس : كل شئ يحويه العهد القديم هو صورة ورمز وظلال للعبادة بالروح والحق. فى الفصول الأولى ينشغل كيرلس بخطية آدم ويناقش مسألة تحرر الإنسانية من عبودية الخطية والشيطان ويؤكد أن التحـرر لا يأتى إلا من المسيح ويستمر فى هذا الموضوع حتى الفصلين الرابع والخامس ليؤكد على أهمية الدور الإنسانى فـى حفظ هذا الخلاص لذا يشدد على أهمية قرار وإصرار الإرادة الإنسانية فى أن تخلص.

☺ وكتب أيضاً فى هذه الفترة (Τα Γλαφυρα) "تعليقات" من ثلاث عشر فصلاً وهو يكمل ما كتبه سـابقاً فـى "العبادة بالروح والحق" ولكنه لم يكن فى صورة حوار، ما يخص سفر التكوين سبعة فصول، وثلاث فصول لسفر الخروج، وثلاث فصول كل واحد منها لسفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية.

☺ أيضاً كتب فى هذه الفترة تفسيره لسفر إشعياء والذى شغل مجلداً كـاملاً (رقـم ٧٠) فـى سلسـلة Migne، ومذكراته فى الأنبياء الصغار.

فى هذه الكتابات اتبع القديس كيرلس التقليد الأسكندرى فى التفسير، إذ ترك الحرف والتاريخ ودخل فى قلب النص مفتشاً على الثمر الروحى اللازم للغذاء. لقد وضع كيرلس أساس التفسير وهو التفتيش على "المعنـى الروحـى" وراء الحرف. القديس كيرلس محق فى تطبيقه هذه الطريقة فى التفسير للعهد القديم لأن الناموس يعطى فقط صور ورموز للحقيقة، هو الظلال، لذلك قد بَطُل، ولكن كيرلس يشدد على أن الإبطال تم بحسب الحرف ولـيس بحسـب محتـواه الروحى وأهميته الروحية، ومن هنا نرى أن الناموس- كما يعلن القديس كيرلس - حفظ فاعليته حتى اليوم ولكـن بحسب مفهومه الروحى.

يركز القديس كيرلس فى كتاباته على الصورة القديمة التى للكنيسة فى قلب العهد القديم، كذلك فى كتابه "تعليقات" يركز على أن "سر المسيح" رمز إليه وصور فى كتب موسى الخمسة "التوراة".

☺ أن شروحات القديس كيرلس لأسفار الملوك، نشيد الإنشاد، والأنبياء حزقيال، إرميا، باروخ، دانيال قـد بقـى منها مقاطع صغيرة. ولا ننسى إنه قد شرح (ق. كيرلس) سفر المزامير وذلك بحسـب رأى "فوتيـوس" (Bibl. Cog. ٢٩٩). فى القرن العاشر.

ب- العهد الجديد :

١- تفسير إنجيل يوحنا : كتب القديس كيرلس تفسيره لإنجيل يوحنا وذلك قبل فترة البدعة النسطورية، وهو يمثـل ١٢ مجلداً.

إن تفسير كيرلس له طبيعة عقيدية، والمقدمة تكشف على أنه يريد أن يعطى مفاهيم عقيدية للنص وعلى محاربة الأفكار الهرطوقية.

يفحص مفاهيم عقيدية للنص وعلى محاربة الأفكار الهرطوقية.

يفحص القديس كيرلس فى شروحاته هذه فكر الأريوسيين، فكر أتبـاع افنوميـوس، وخريسـتولوجية المدرسـة الأنطاكية. وأيضاً فى تفاسيره هذه لا يذكر لا نسطور ولا مصطلح والدة الإله، ومصطلحاته فى هذا التفسير ليست هى نفسها كما وجدت فى كتاباته بعد ظهور النسطورية. لذلك يوجد اتفاق بين المفسرين بأنه كتبه قبـل فتـرة البدعـة



النسطورية هذا رأى الأب جورج فلورفسكى فى كتابة "آباء بيزنطة القرن الخامس" والصادر فى تسالونيكى سنة ١٩٩٢م.

٢- تفسير إنجيل لوقا : هو مجموعة عظات حول نصوص إنجيل لوقا، والهدف من هذه العظات ليس عقيدى فقط كما فى تفسيره لإنجيل يوحنا ولكنه سلوكى عملى أيضاً.

بقيت فقط ثلاث عظات من النص اليونانى المفقود وبعض المقاطع الأخرى، بينما هناك ١٥٦ عظة وصلت إلينا باللغة السريانية (من القرن السادس) ومن خلال هذه الترجمة نعرف من العظة رقم ٦٣ أن وقت كتابة هذه العظات كان أواخر ٤٣٠م لأنه يذكر حرومات القديس كيرلس الأثنى عشر.

٣- مقاطع تفسيرية لأعمال أخرى للعهد الجديد : مقاطع قليلة من شروحاته لإنجيل متى، وأسفار أخرى للعهد الجديد.

الإيمان أساس فهم الكتاب المقدس :

إن مفهوم اللوغوس يعلن فقط داخل خبرة الإيمان. الذى يقودنا خارج محدوديتنا كمخلوقات، هو الإيمان وليس البحث. الإيمان يجب أن يسبق البحث، المعرفة الصحيحة يمكن أن تؤكد فقط على أساس الإيمان.

بدون استنارة الروح القدس، لا يستطيع أحد أن يقبل لمعرفة الحق وأن ينجح فى الحصول على فهم دقيق سليم للعقائد الإلهية. الآب لا يمنح معرفة المسيح لغير الأنقياء، لأنه فى رأيه لا يمكن أن يسكب قارورة طيب كثير الثمن داخل قبر.

معرفة ا هى حوارية أى تتطلب حوار حقيقى مع ا وشركة قوية وليست كالمعرفة الخارجية. ويؤكد القديس كيرلس على أن معرفتنا اليوم ستظل ناقصة ولا تقارن بمعرفة الحياة العتيدة، فكما يختفى لمعان النجوم بظهور نور الشمس هكذا تختفى معرفتنا أمام كمال نور المجد الإلهى.

الملامح الأساسية للتفسير عند القديس كيرلس :

١- الأساس الخريستولوجى. ٢- الأساس الروحى. ٣-الأساس الكنسى.

أولاً: الأساس الخريستولوجى للتفسير :

يعتبر القديس كيرلس أن الإيمان الصحيح بسر التجسد هو ضرورة أساسية للتفسير، إذ أن الكلمة المتجسد هو القانون والمعيار الذى يقاس عليه التفسير الصحيح (تفسير يوحنا ٩ P.G. ٧٤, ١٨٩C).

فالأساس الخريستولوجى هو دعامة لكل شروحاته، وأيضاً صياغاته للعقيدة، فالمسيح ظل بعد التجسد هو الواحد - ا - اللوغوس. وبالتجسد اتحدت الطبيعة الإلهية بالإنسانية بغير اختلاط أو تغيير، وهذه الوحدة بين الطبيعتين فى شخص المسيح ليست مجرد اعتراف نظرى، بل هى حدث واقعى فى تاريخ التدبير الإلهى وأساس التفسير الصحيح للكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة. لذلك ففى رأى القديس كيرلس، لكى نفهم ما قاله المسيح وأيضاً ندرك أفعاله المدونة فى الأناجيل، لابد أن نراها فى إطار الاتحاد الكامل بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية فى شخص



المسيح، فاللوغوس المتجسد لم يكن ببساطة إنسان "حامل الله" (θεοφορος) مثلما اعتقد نسطور، ولكن العكـس، فكل ما قاله وما فعله المسيح صادر من شخص ا اللغوس ويتعلق بإقرار الإيمان الصحيح عن الإتحاد الذى تم بين الطبيعتين والذى نتج عنه ما يسمى "بتبادل الخواص" فالطبيعة الإنسانية قبلت المجد الإلهى وذلك بإتحادهـا بالطبيعـة الإلهية "بحسب التدبير" ولهذا تألم الجسد. (عن التجسد P.G. ٧٥, ١٢٤٤, ١٢٤٩).

فالإخلاء "أخلى ذاته" هو الذى جعل اللوغوس داخل المعايير البشرية (تفسير يوحنا P.G. ٧٣, ١٣٢A).

ولكى نفهم أقوال وأعمال المسيح الإنسانية كما دونت فى الأناجيل، هناك حاجة أن نحـافظ علـى الوحـدة الغيـر منفصلة والغير مختلطة بين الطبيعتين فى شخص المسيح، فلا يجب أن ننسب الأقوال والأعمال الإنسـانية للمسـيح للاهوت فقط ولا للناسوت فقط (تفسير لوقا P.G. ٧٢, ٥٠٩D). بل لشخص المسيح الواحـد، ويطبـق هـذا علـى المعجزات، التى هى أعمال إلهية، ولكنها تمت بواسطة الجسد (الناسوت)، (الكنز ٢٣، P.G. ٧٥, ٣٨٨C).

إذن لا نستطيع أن نفصل أى عمل ونخصه لطبيعة دون الأخرى، ولكن فى نفس الوقت نعرف ونميز متى تنسـب الأقوال للاهوت ومتى تنسب للناسوت، دون أى إنفصال بينهما. فمثلاً عندما يقول المسيح: "قبل أن يكون إبـراهيم أنـا كائن" (يو ٨:١٤) أو (يو ٣:١٠) "أنا والآب واحـد" واضح أن هذه الكلمات منسوبة للاهوت. وأما قوله مثلا فى (يـو ٨:٤٠) "ولكنكم تسعون إلى قتلى وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله.." هنا الكلام منسوب إلـى إنسـانيته الكاملـة (تفسير لوقا P.G. ٧٢, ٦٧٢C).

اللوغوس (كلمة ا) لو لم يصر إنساناً كاملاً لما استطاع أن يتكلم بشريا. وبناء على ذلك من ينكر هذه الأقـوال والأفعال الإنسانية للمسيح ينكر تدبير التجسد (الدفاع P.G. ٧٦, ٤١٣CD).

فهذه الأقوال تعلن التأنس فلو لم يتكلم المسيح كإنسان كامل، لما آمـن أحـد بـإخلاء ا – اللوغـوس (رسـالة ١٧، P.G. ٧٧, ١١٦ BC) وقد رفض كيرلس قول نسطور بأن أعمال الجسد التى للمسيح تنقص من شأن المجـد الإلهى، فإن كيرلس يرى أن بواسطتها نستطيع أن نعرف الجوهر الإلهى العظيم والسامى، وهكذا فسـمو اللاهـوت نعرفه من التواضع والإخلاء الإلهى (الكنز ٧، P.G. ٧٥, ١٢٠ AB) .

إن هذا الاتحاد الأقنومى بين الطبيعتين، فى رأى القديس كيرلس، كان هو الوسيلة الوحيـدة لخـلاص البشـرية، وعلينا أن لا نقف عند الحرف مثلما فعل نسطور لكى يبرهن على سمو وتفوق الطبيعة الإلهية عن الطبيعة الإنسانية للمسيح، وانتهى إلى أن المسيح كان رجل حامل للإله فقط، وأنكر التجسد الحقيقى للوغوس. وبذلك فإن كل ما قام به المسيح إنسانياً أى بالتجسد ليس له بعد خلاصى حقيقى لدى نسطور.

يشدد القديس كيرلس على أن الأقوال التى ينسبها البعض إلى طبيعة المسيح الإلهية أو إلى الطبيعـة الإنسـانية، يجب أن تنسب لشخص المسيح الواحد، فالإختلاف بينهما هو اختلاف تدبيرى ولا يتعلق بأى فصل بـين الطبيعتـين. والتمييز لا يمنع أن ننسب أعمال الجسد للطبيعة الإلهية أو أعمال اللاهوت للطبيعة الإنسانية (الكنـز ٢٤، P.G. ٧٥, ٤٢٩C).



ثانياً: أساسيات التفسير الروحى :

لقد كان القديس كيرلس كأسكندرى أصيل هو تابع متحمس للتفسير الروحى للكتاب المقدس، وأيضـاً فـى إطـار الإيمان الخريستولوجى يشرح لنا التفسير الروحى، فكما أن ناسوت المسيح يؤكد ألوهيته تاريخياً، هكذا أيضاً الحرف أو التاريخ يعلنان المعنى الروحى الإلهى المقصود من الكلام المكتوب.

والتفسير الروحى، بحسب القديس كيرلس، يتخذ الحرف أو التاريخ أساساً له إذ فيه يتعرف على سر المسيح "سر التدبير الإلهى" فالتجسد يعلن هدف "σκοπος" التدبير الإلهى ويتعرف عليه عندما ننظر إلى أقوال وأعمال المسـيح المدونه فى الكتاب المقدس وفق هذا التجسد "الإخلاء" (عن الإيمان المستقيم ٣٠، P.G. ٧٦, ١٣٧٣C).

لذلك، بحسب القديس كيرلس، يجب أن نعبر من الكلمـة الكتابيـة والتـى تصـف اللوغـوس بطريقـة بشـرية (ανθρωπινως) أى وفق مقاييس بشرية، إلى الفهم الروحى الإلهى (θεοπρεπως). إذن التفسير الروحى عنـد القديس كيرلس يستلزم التمييز الواضح وأيضاً الوحدة غير الممتزجة بين عالمين: المحسوس والمـادى، والروحـى والذهنى، كما تحقق هذا الاتحاد فى شخص الواحد ربنا يسوع المسيح. وبناء على ذلك فتطبيق التفسير الروحى ينظر إليه على أنه تجلى وتغير العنصر التاريخى والإنسانى (الحرفى) إلى العنصر الإلهى والروحى والذى هو متحد معـه بغير امتزاج ولا انفصال.

والآن نسرد بعض المبادئ الأساسية لفهم التفسير الروحى لكيرلس :

١- يؤكد القديس كيرلس على أن الكتاب المقدس يتكلم عن ا بشريا لأن ا لا يستطيع أن يتكلم أو يعلـن عـن نفسه إلا بطريقة بشرية قريبة ومفهومة لدى الإنسان (تفسير المزامير، P.G. ٦٩, ٧٩٢). وهذه الطريقة لا تقلل مـن المجد والسمو الإلهى، ولكن على العكس، فإن عجز العقل البشرى واللغة البشرية هما السبب الذى جعل الكتاب يتكلم بطريقة بشرية عن ا .

وهكذا فالكلام عن ا يحاكى ويتكيف بحسب الحاجة مع مقاييس الكلام البشرى. ولكى نعرف سمو المجد الإلهـى علينا أن نفهم الشواهد التاريخية والإنسانية عن ا المدونة فى الكتاب المقدس وذلك بطريقة خاصة. إذ أن الإنسان موجود فى كثافة جسدية وتحكمه قوانين بيولوجية، ويجب عليه ألا ينحصر فى الفهم البشرى للكلمات "اللاهوتية" ولا يعيها بطريقة حرفية صارمة أو بطريقة تاريخية فقط ولكن وفق العنصر الإلهى.

ستظل الكلمة البشرية قاصرة وغير كافية لوصف الإلهيات، فتعبيرها دائماً نسبى، فهى داخل حدود اللغز والنموذج والعلامة والمثال. وبواسطة الكلمة نستطيع أن نفهم جانباً ما من العنصر الإلهى والروحى. فالكلمة الكتابية لا تعلـن ماهية ا بالضبط، ولكن مفاهيم عن ا (ضد نسطور ٣:١ P.G. ٧٦, ٣٣C).

والذى حدد هذه المفاهيم ليست الكلمات اللغوية أو المفاهيم التاريخية فى حد ذاتها، ولكن المعنى الروحى المختفى والعميق السرى، وذلك بحسب التدبير، والذى يقودنا إلى الفهم الصحيح للأقوال الإنسانية (تفسير إشعياء ١:٣، P.G. ٧٠, ٥٦٥C).



إذن التفسير الروحى للكتاب ليس هو قضية لغوية صارمه، تقتصر فقط على الفهم الحرفى أو التـاريخى، ولكـن هدف التفسير هو "المعرفة الإلهية" والتى تستلزم عدم بقاءنا فى الحرف أو التاريخ، ولكن نمر فيه إلى الروح، فمـا يرمى إليه التفسير هو المعرفة الخلاصية لعمل التدبير الإلهى. ولا يمكن أن نظل فى الحرف (الكلمـة المكتوبـة) لأن الغرض منها هو الصعود الدائم نحو الأسمى، من المحسوس إلى الروحى. فالحرف يخـدم سـر التـدبير الإلهـى، والمحسوسات البشرية تتغير وتتجلى بفضل التجسد، نحو الحالة الإلهية فى المسيح يسـوع (تفسير متى، P.G. ٧٥, ٤٢٩C).

فبحسب القديس كيرلس الكلمة فى الفلسفة اليونانية هى بلا جسد (ασαρκος) أما الكلمة الكتابية فهى متجسده (ενσαρκος) فهى حاملة لقوة سر الألوهية، فهى المثال والنموذج للروحيات، فترتفع العقل مـن الماديـات إلـى الروحيات.

٢- يشدد القديس كيرلس على عدم احتقار الحرف أو التاريخ، فلكى نصل إلى التفسير الروحى لابد أن نفهـم أولاً الخاصية التاريخية واللغوية للنص، وعن طريق هذا الفهم يستطيع المفسر أن يتعرف على قوة الكلمة التى تقود إلى رؤية الروحية. فالتفسير التاريخى والحرفى عند القديس كيرلس مهم لأنه:

أ- يعتبر الظل الذى يقود إلى عمق الروحيات (العبادة بالروح والحق ٣، P.G. ٦٨, ٥٤٠B).

ب- يؤمن حقيقة المفاهيم الروحية الإلهية بعيداً عن التأمل الروحى المريض، لأن التاريخيات أو الحـروف هـى نماذج وظلال للحقيقة.

ج- له هدف تربوى، وتعليمى، وأدبى لأن مختارى ا سواء فى العهد القديم أو الجديد هم نماذج وقدوة للحيـاة المسيحية الحقيقية.

الكلمة المكتوبة لها مفهـومين : تاريخى وروحى، والذى يقودنا إلى التفسير الصحيح هو الإيمان لأن الإيمان يسـبق المعرفة إذ بواسطة الإيمان يصل الإنسان إلى المعرفـة الكاملـة (شـرح إنجيـل يوحنا ٤:٢،٤، P.G. ٧٣, ٥٧٦D). الإيمان بالإتحاد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير فى شخص المسيح، أعاد الوحدة بين المحسوس والروحى، وأيضاً بين أنشطة الإنسان الجسدية والحياة الروحية. لكى نصل إلـى المفهـوم العميـق والسرى للكلمة الكتابية، هناك إحتياج دائم لتطبيق الهدف العام، بمعنى أن نتعرف داخل شخصيات وأحداث وروايـات الكتاب على فعل التدبير الإلهى وبالتحديد سر المسيح. هذه الطريقة تمنع وجود أى مسافة فاصـلة أو إخـتلاط بـين العهدين القديم والجديد. فالعهد القديم والعهد الجديد بينهما علاقة لا تنقطع، والتقليد الأسكندرى الـذى ينتمـى إليـه كيرلس يستند على تفسير (٢كو ٦:٣) "الذى جعلنا كفاه لأن نكون خدام عهـد جديـد. لا الحـرف بـل الـروح. لأن الحـرف يقتل ولكن الروح يحيى"، (غل ١:١٠) "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون".

فالعهد القديم هو نص نبوى شكل الظل والمثال والنموذج، فهو يتنبأ عن سر المسيح، وهذا يسرى علـى أسـفار موسى الخمسة وأيضاً على كل الكتب النبوية. (العبادة والروح والحق ٦، P.G. ٦٨, ٤٤٠A)، (تفسير إشعياء ٥:٢، P.G. ٧٠, ٥٤٥D).



العهد القديم هو ظل العهد الجديد، ولكن فى حالة فهمه بالتفسير الروحى، لأن طبيعة الكلمة الكتابية هى لغز وظل ومثال.. وبدون اللجوء للمحتوى الذى يعلن بواسطة الكلمة تظل بلا فائدة (شرح يوحنا ٥:٤، P.G. ٧٣, ٦٦١).

عند القديس كيرلس هناك ثلاث أسباب تجعلنا نتمسك بالعهد القديم :

١- بالعهد القديم نرى أن سر المسيح ليس شيئاً جديداً ولا مستحدثاً، بل هو موجود من البداية وقد عبر عنه فى شكل اللغز والظل فى الأحداث والأعمال التعبدية وأيضاً الأعياد فى العهد القديم (تعليقات على سفر الخروج ص٢، P.G. ٦٩, ٤٢٤B)، (على سفر ملاخى ص٢، P.G. ٧٢, ٣٦٤C).

٢- كان المسيح حاضراً فى أحداث وشخصيات العهد القديم ولكن أيضاً باللغز والمثـال، وذلـك بسـبب ضـعف السامعين (تفسير لوقا، P.G. ٧٢, ٩٠١C).

٣- حضور المسيح فى العهد القديم يبرهن على أن الكتب المقدسة أوحيت بنـور روح المسـيح (العبـادة بـالروح والحق ٥:٤، P.G. ٦٨, ١٣١٣D).

وهكذا يشدد القديس كيرلس على أن نقبل العهد القديم لا بالمفهوم الحرفى بل بالمفهوم الروحى.

ثالثاً: الأساسيات الكنسية للتفسير الكتابى

إن الأسرار الإلهية تنتمى للعالم الروحى، بينما الإنسان محدود وإدراكه ضعيف مما يعوق المعاينة الكاملة للمجـد الإلهى، ولذلك فأى مفسر يحتاج إلى أساسيات تتعلق بالإيمان والحياة الكنسية، وعلى هذا الأساس يلجأ دائماً القديس كيرلس إلى التعاليم والخبرة الكنسية ويعتبر التقليد الكنسى هو المرشد الضرورى للتفسـير الكتـابى، والأساسـيات الكنسية فى نظر كيرلس هى:

١- الوحى وحضور الروح القدس فى الكنيسة.

٢- التقليد الحى فى الكنيسة الذى يشمل الإيمان المستقيم والعقيدة الصحيحة، أى التقليد التفسيرى والعقيدى.

٣- العمل الليتورجى داخل الكنيسة والحياة الروحية النسكية (حياة الفضيلة).

١- فيما يتعلق بالوحى، فالقديس كيرلس يعتمد على (٢تى ١٦:٣) "كل الكتاب هو موحى به من الله ونـافع للتعلـيم"، وعندما يتعرض للطريقة التى كتب بها الكتاب المقدسين، النصوص المقدسة فهو يعتقد فى التقليد الأسكندرى الـذى يؤمن بأن الكتاب قد قبلوا الكلمة الإلهية بإعلان مباشر من فم الرب وكتبوه بإلهام مباشر من الروح القدس الذى هو وسيط يعلن الكلمة الإلهية لأنه هو الذى يعرف ويفحص أعماق الله (١كو ١٠:٢). الروح القـدس يمـنح الكاتـب الأذن الروحية ليسمع كلمة الله (تفسير إشعياء ٢:٢ P.G. ٧٠, ٣٤٩D). وفى هذه الحالة لا يفقـد النبـى قوتـه ووعيـه الذهنى، ولا يصير كمجرد أداة ميكانيكية فى يد الروح القدس، ولكن بطريقة واعية وتفكير فى الأشياء المعلنة يكتـب الإعلان الإلهى سواء كان عن طريق السمع أو الرؤى، وهو على ذلك ناقص وليس كاملاً، لأنه يتجاوب ويتمشى مع محدودية الطبيعة البشرية. فالكلمة الإلهية المكتوبة فى علاقتها بجوهر الشئ الذى تريد أن تعلن عنه، هى نمـوذج ومثال ولغز وسر وتحتاج لحضور الروح القدس لكى يعلن المفهوم الروحى العميق المستتر وراء الكلمة. وبناء على ذلك، فالكتاب المقدس يفهم فقط داخل الكنيسة وذلك بالروح القدس الحاضر فى الكنيسة. إن الطبيعة البشرية بمفردها



لا تستطيع أن تكشف الأسرار الإلهية (شرح يوحنا ١١، P.G. ٧٤, ٤٦٤B). فالحاجة الدائمة إلى عمل الروح القدس فى تنقية الذهن وفى تحرره من أى إنشغال مادى أو اضطراب معيشى (P.G. ٧١, ٨٦٨).

الروح القدس ينير الذهن ليفهم ما هو مخفى ومستتر وراء النص اللغوى، لأن الكلمة الكتابية كما قلنا سابقاً هى عادة كلمة لغزية وظلية. إن سر ا هو عطية إلهية للإنسان، لكى يستطيع أن يصل إلى معرفة هذا السر وذلك فقط بغنى النعمة الإلهية (شرح يوحنا ١:٤، P.G. ٧٣, ٥٥٢C). هذا العمل يتممه الروح القدس، الذى يمنح الطبيعة الإنسانية الصلاح أى معرفة الأسرار الإلهية، هذه المعرفة تنير القلب والعقل. لذلك لأجل فهم سليم للكلمة الكتابية يتطلب صلاة نحو ا لكى يرسل نوره لينير العقل (شرح يوحنا ٣:٤، P.G. ٧٣, ٦٠٥D).

إذن التفسير الصحيح للكتاب والذى ينتهى إلى الرؤية الروحية، إلى جمال الحق هو عطية ا وعطية السيد المسيح وعطية الروح القدس. (شرح يوحنا ٢:٣، P.G. ٧٣, ٤١٢D). (تفسير إشعياء ٤:٣، P.G. ٧٠, ٨٠٠B).

٢- من أجل فهم صحيح للكتاب، قد اتبع كيرلس، أثناسيوس فى أنه لابد أن نعرف الهدف العام للكتاب، الذى هو سر المسيح، أى التأنس. ولكن عند كيرلس يربط الهدف العام أيضاً بالوحدة الغير منفصلة بين الآب والإبن (شرح يوحنا ١١، P.G. ٧٤, ٥٠٩). أو بسر الثالوث (شرح يوحنا ٩، P.G. ٧٤, ٢٣٧A).

وبناء على ذلك فإن هدف الكتاب المقدس يتطابق مع الإيمان المستقيم وكل ما يتعلق بعمل تدبير الثالوث. هذا الإيمان يسميه القديس كيرلس "المعرفة الكاملة" التى تتقابل مع دقة العقيدة وتتجاوب مع الهدف الداخلى للكتاب الذى نراه باستنارة الروح القدس. وبهذا المعنى فإن المعرفة الكاملة هى ثمرة التفسير الروحى للكتاب. أيضاً يشدد القديس كيرلس على أن استقامة الإيمان أو المعرفة الكاملة ليست هى فقط الهدف الداخلى للكتاب، ولكن يتعلق أيضاً بـ "فكر" الآباء (شرح يوحنا ٩، P.G. ٧٤،٢١٦C). وإن الفكر الآبائى هو المفهوم الأصح للكتب الإلهية فنحن ملتزمون بالتقليد الحى للآباء والذى يرجع إلى استنارة وعمل الروح الذى صيغ فى إعترافات الإيمان (P.G. ٧٧, ١٠٩D). هذا التقليد يمثل معيار وعلامة محورية للتفسير الكتابى ولذلك من الضرورى أن نقتفى آثار "هدف" الحكمة الآبائية.

٣- إن هدف الكتاب المقدس يحيا ويعمل داخل الحياة الليتورجية فى الكنيسة. الكنيسة ترتبط مباشرة بتدبير التجسد وتبعا لذلك بهدف الكتاب. لذلك يعطى القديس كيرلس تفسيراً لجبل صهيون، وجبل الجليل وأورشليم.. على أنها الكنيسة (تفسير إشعياء ٢:١، P.G. ٧٠, ٦٨D).

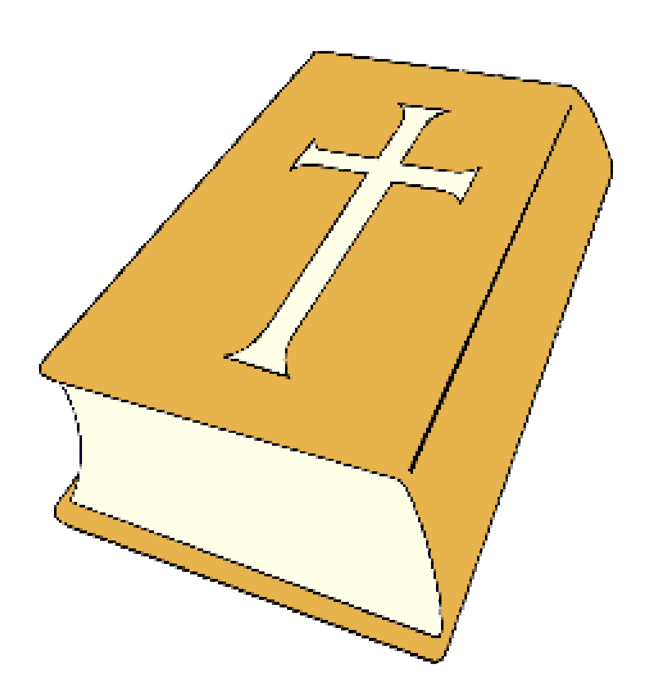
لأن سر التدبير الإلهى يتمم بطريقة سرية فى الكنيسة، لذلك هى "البيت المقدس للمخاص". كل من يجهل هذا البيت ويكتفى بالتفسير الجسدى (الحرفى) للكتاب ليس لديه إمكانية الخلاص.

يشدد كيرلس على أن داخل الكنيسة يستطيع المؤمن أن يرى ويشارك ما تممه المخلص، وبذلك يستطيع أن يخلص (شرح يوحنا ١:٢، P.G. ٧٣, ٢١٧AB).

إن حياة الإيمان المعاش فى الكنيسة والمشاركة فى الأسرار الكنسية وإختبار حياة الفضيلة اليومية، أمور ضرورية وأساسية للتفسير الصحيح للكتاب.



أخيراً من كل ما سبق نرى أن القديس كيرلس يرد على التراث غير الأرثوذكسى فى التفسـير، والمبـادئ التـى شرحها لنا هى مهمة جداً لنا اليوم لكى نميز بين التفسير الأرثوذكسى والتفسير غير الأرثوذكسى للكتاب، فالقضـية ليست قضية فردية، ولكن هى موضوع الكنيسة الحاملة للإعلان الإلهى والتى بدونها الكتاب المقدس لـيس لـه أى معنى حقيقى إذ يظل لغزاً وظلاً ومثالاً وأمور نظرية مجردة، أما فى الكنيسة فيتحقق سر التدبير أى كـل مـا تممـه المسيح عن طريق الأسرار، ويصبح الكتاب متجسداً ينير العقل ويظهر القلب ويقود الإنسان فى مسيرة شركة واتحاد مع ا بواسطة المسيح فى الروح القدس، حتى يستطيع المؤمن أن يقول مع القـديس يوحنـا "الـذى سمعنـاه، الـذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١يو ١:١).





د. جوزيف موريس فلتس

عندما نتكلم عن موضوع "الآباء والمعمودية"، سيقتصد الحديث عن ما عبر عنه الآباء فى "قانون الإيمان" الذى كان يتلى فى المعمودية، وهذا يستلزم بالتأكيد التعريف بالمصطلح واستخداماته فى العهد الجديد ثم عصر الرسل والعصر الرسولى الى عصر الآباء.

١- تعريف المصطلح "قانون" :

إن كلمة "قانون" هى كلمة غير عربية، بل يرجع أصلها إلى كلمة "κανων" اليونانية والتى تعنى لغوياً عدة معان من أهمها:

١- قضيب مستقيم يستخدم فى حفظ شخص أو شئ فى وضع مستقيم.
٢- أداة خاصة لرسم مستقيمات، مسطرة.
٣- وسيلة لقياس وإختبار الأطوال.
٤- قاعدة يجب إتباعها دائماً.
٥- وكمصطلح كنسى كان يطلق على العقوبات التى تعطى من الأب الروحى للمعترف.
٦- قانون "الكتاب المقدس" : الكتب التى اعترف بأنها موحى بها بالروح القدس.
٧- قوانين "مقدسة" : الصادرة من المجامع المقدسة والتى تنظم الخدمة والإرادة فى الكنيسة.

ويختلف مصطلح "قانون" عن "القانون الوضعى" Law بأشكاله وأنواعه المختلفة والتى تنظم العلاقات بين البشر.

ولهذا يترجم اصطلاح "قانون الإيمان" فى اللغات الأجنبية إلى مصطلح "Creed" وليس إلى "Law".

وعليه فالمصطلح "قانون الإيمان" فى علم اللاهوت يعنى التحديدات الواضحة والحية لحقائق الإيمان المسيحى والتى تحمل وتعبر عن أصالة الكنيسة. وهذا الإيمان المستقيم والمعبر عنه فى نص قانون الإيمان هو القاعدة والمقياس والاختبار للإيمان المسيحى المستقيم.

٢- الإيمان والمعمودية :

يخبرنا مرقس البشير فى نهاية إنجيله عن ظهور الرب يسوع بعد القيامة للأحد عشر وهم متكئون، موبخاً عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام وآمرا إياهم بأن يذهبوا إلى العالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن" (مر ١٦:١٤-١٦).



ويختم معلمنا متى الإنجيلى الإصحاح الأخير بقول الرب يسوع لتلميذه "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس" (مت ٢٨:١٩).

وهنا نلاحظ الإرتباط القوى بين الإيمان والمعمودية الأمر الذى يؤكده القديس لوقا فى سفر الأعمال عندما سـجل لنا حادثة الخصى ولقاءه مع فيلبس حيث يذكر "وفيما هما سائران فى الطريق أقبلا على ماء فقال الخصى هـو ذا مـاء، ماذا يمنع ان اعتمد؟ فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز" (أع ٨:٣٦-٣٧).

وهكذا نجد أن الكنيسة فى عصر الرسل تنمو وتنتشر حيث "كان مؤمنون ينضمون للرب" (أع ٥:١٤).

ومن هنا نرى أن ممارسة طقس المعمودية فى ذلك العصر كان يسبقه تعليم وكرازة وإيمان لمن يأتوا إلى الكنيسة من اليهود والوثنين، والذين تكونت منهم فيما بعد الكنيسة فى فلسطين والشتات ثم الأمم.

ولقد كانت المعمودية هى أهم المناسبات للإعتراف بالإيمان، أى الإعتراف بالمسيح يسوع حيـث أن المعموديـة كانت تجرى بإسم الرب يسوع كما يشهد سفر أعمال الرسل (أع ٨:١٦، ١٩:٥).

ومن المناسبات الأخرى للإعتراف هى المحاكمات التى كانت تجرى للمسيحيين حيث كان يرغم المسيحى علـى أن يقول: "يسوع أناثيما" أى مرفوض أو ملعون، وفى محاكمة الشهيد بوليكاربوس طلب منه الوالى أن يلعـن المسـيح فأجاب بوليكاربوس كيف ألعن ملكى[1]. وفى خطاب بلينى Pliny حاكم بيثينيا على البحر الأسود إلـى الإمبراطـور تراجان حوالى سنة ١١٢م يقول: "أحاول أن أجعلهم يلعنون المسيح"[2].

غير أن هذا الإعتراف مر بمراحل عديدة بداية من زمن العهد الجديد وحتى المجمع المسكونى الثانى فـى القـرن الرابع الميلادى. أى من مجرد عبارات بسيطة حتى النص الذى بين أيدينا الآن وسـنحاول معـا اسـتعراض هـذه المراحل:

أولاً: فى العهد الجديد :

لقد حوت أسفار العهد الجديد على "إعتراف إيمان" ομολογια πιστεως الآباء الرسل الواضح والصريح بالثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس فى تعبيرات بسيطة بدون اهتمام بالصياغات اللاهوتية. وقد ركز اعتراف الإيمان فى كتابات العهد الجديد على ضرورة الاعتراف بأن يسوع المسيح هو الرب "وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بـالروح القدس" (اكو ١٢:٣)، وأيضاً "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو ١٠:٩).

ويسجل لنا متى الإنجيلى كلمات الرب نفسه لتلاميذه عندما دعاهم للخدمة وكلفهم بحمل البشارة وأوصاهم قـائلاً: "فكل من يعترف بى قدام الناس اعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات" (مت ١٠:٣٢-٣٣). بل وما خيانة بطرس الرسول فى جوهرها إلا إنكاره للسيد المسيح.

ويمكن أن تلاحظ أيضاً "إعتراف الإيمان" هذا فى إجتماع الجماعة العابدة والساجدة والتى يصفها بولس الرسـول فى رسالته إلى أهل فليبى إذ يقول: "لكى تجثوا بإسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض

---

[1] استشهاد بوليكاربوس ٩:٣.

[2] خطاب بلينى إلى الإمبراطور تراجان ٩٣:١٠.



ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب" (فى ٢:١١). وما أجابه الخصى على فيلبس إلا إعتراف إيمان "فأجاب وقال أنا آمن أن يسوع المسيح هو ابن الله" (أع ٨:٣٧).

عقيدة أخرى شملها "إعتراف الإيمان" كما جاءت فى أسفار الكتاب المقدس وهى أن الإعتراف بيسوع الرب هو الإعتراف به مسيحاً أى الممسوح بالروح القدس وذلك لأن يسوع هو المسيح وهو موضوع كل نبوات العهد القديم التى تمت وأكملت فى يسوع الناصرى ولهذا كتب معلمنا يوحنا الإنجيلى موضحاً فى رسالته الأولى قائلاً: "من هو الكذاب إلا الذى ينكر (عكس يعترف) أن يسوع هو المسيح" (١يو ٢:٢٢)، وفى موضع آخر من نفس الرسالة يوضح خطورة عدم الإعتراف بذلك الذى جاء فى الجسد فيحذر "كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح" (١يو ٤:٣).

وعلى وجه العموم فالعهد الجديد يركز على ضرورة إعترافنا دائماً با الواحد الآب والرب يسوع المسيح (بميلاده - موته - قيامته وصعوده - مجيئه الثانى) وبالروح القدس[٤].

والشركة التى اختبرها الرسل وعاشوها وأرادوا أن يشركوا آخرين فيها هى شهادة μαρτηρια بالذى رأوه وسمعوه ولمسته أيديهم أى "إعتراف إيمان" قادهم إلى الشركة مع الآب والإبن والروح القدس، نقلوها حية وسلموها بلا تغيير لمن بعدهم وليشترك فيها أيضاً كل من له "إعتراف الإيمان" أو قانون الإيمان هذا.

ولما كانت المعمودية هى من أهم المناسبات للإعتراف بالإيمان كما سبق القول فقد كانت الكنيسة تعد الموعوظين أى الآتين إليها لقبول المعمودية. وكان هذا الإعداد يتطلب دقة واهتمام لكى لا يدخل الكنيسة إلا من يؤمن. ويخبرنا القديس كيرلس الأورشليمى أن قانون الإيمان كان الموضوع الرئيسى فى تعليم الموعوظين حيث كان يشرح لهم أثناء فترة الصوم الأربعينى معتقدات الكنسية الرئيسية. وهذا الأمر يؤكده جيروم فى رسالته الرابعة.

غير أن تفاصيل ما كان ينبغى على الموعوظين أن يتسلموه قبل المعمودية فإننا يمكن أن نعرفها من خلال كتاب المراسم الرسولية والنص العربى للديسقولية "على الموعوظين أن يتسلموا قبل المعمودية معرفة ا الآب والابن الوحيد والروح القدس ونظام خلق العالم والإعلانات الإلهية ولماذا خلق الإنسان والعالم، ويتعلم عن ناموس الطبيعة لكى يعرف الهدف الذى خلق لأجله ويتعلم تجسد المسيح وآلامه وقيامته وصعوده وما معنى جحد الشيطان والدخول فى عهد مع المسيح" الكتاب السابع٣٩.

ثانياً: فى عصر الآباء الرسوليين :

تمدنا كتابات الآباء الرسوليين بنصوص هامة عن مضمون الإيمان أو إعتراف الإيمان فى ذلك العصر:

١- **القديس كليمندس الرومانى** : "أليس لنا إله واحد والمسيح الواحد والروح الواحد الذى أعطانا النعمة وسكب على الكل" (رسالة كليمندس الرومانى فقرة ٧).

(٤) (رو ٨:١١،٢٤:٤، ١كو ٨:٦، ٢كو ٤:١٤، غل ١:١، ١تس ١:١٠، كو ٥:١٢، أف ١:٢٠، ١بط ١:٢١، ٢بط ١:٢، ٢يو ٣:١،٢).



٢- الشهيد أغناطيوس الأنطاكى : (استشهد ١١٠م).

✪ "اثبتوا إذا على تعاليم الرب والرسل ولتنجوا فيما تعلمون بالجسد فى الإيمان والمحبة فى الابن والآب والروح القدس" (مغنيسيا ١٣).

✪ "ليس سوى إله واحد ظهر بابنه يسوع المسيح كلمته" (مغنيسيا ٨).

وفى نص رائع يعبر القديس والشهيد أغناطيوس عن إيمانه هذا فيقول: "لأن إلهنا يسوع المسيح قد حملته أحشاء مريم حسب التدبير الإلهى فولد من ذرية داود ومن الروح القدس. ولد واعتمد ليطهر الماء بالآمه"، ويحذر المؤمنين قائلاً: "احملوا آذانكم عن أى شئ آخر سوى المسيح يسوع سليل داود المولود من مريم العذراء الذى ولد حقاً وأكل وشرب حقاً وصلب حقاً على عهد بيلاطس البنطى ومات حقا أمام السمائيين والأرضيين والذين تحت الأرض وقام حقاً من الأموات. فالآب هو الذى أقامه وسيقيمنا معه وعلى مثاله نحن الذين آمنا به، وبدونه لا حياة حقيقية لنا" (القديس أغناطيوس تراليا ٧).

٣- الشهيد بوليكاربوس : (+١٥٥م) كتب الشهيد بوليكاربوس رسالة إلى أهل فيلبى يعرفنا فى بدايتها بالتعاليم التى تسلمها منذ البدء والتى تمثل بالنسبة له "إيمان" يجب التمسك وعدم التفريط فيه فيقول: "شدوا أحقاؤكم واتقوا ا بالمخافة والحق طارحين جانبا كلام الثرثرة الفارغ وضلال الأمم موطدين الإيمان على من أقام ربنا من الموت وأعطاه المجد والملك عن يمينه وله يخضع كل ما فى السماء وعلى الأرض ويعطى كل من فيه نسمة حياة وعندما يأتى ليدين الأحياء والموتى سيقاضى عن دمه كل من رفض الإيمان به". وبناء على هذا الإيمان الذى تسلموه منذ البدء يستكمل الشهيد بوليكاربوس حديثه فى رسالته لأهل فيلبى قائلاً: "من لا يعترف بأن يسوع المسيح قد جاء فى الجسد فهو ضد المسيح ومن لا يسلم شهادة الصليب فهو من الشيطان وكل من يسئ تأويل أقوال الرب حسب رغباته الخاصة وينكر القيامة والدينونة فهو بكر الشيطان، لذلك فلندع الأحاديث الضالة والباطلة والأقوال الفاسدة ولنتمسك بالتعاليم التى سلمت إلينا منذ البدء" (الرسالة إلى فى ٧:٢).

٤- الشهيد يوستينوس : قدم الشهيد يوستينوس دفاعا رائعاً عن الإيمان المسيحى والمسيحين أمام الإمبراطور أنطونيوس بيوس وأدار حواراً مع اليهودى تريفو أوضح فيه الإيمان المسيحى فيقول: "نحن نعبد الإله الحقيقى وإبنه الذى جاء منه والروح الذى أعطى النبوة.. الآب الذى خلق كل الأشياء بابنه يسوع المسيح وبالروح القدس.. نحن لسنا ملحدين لأننا نعبد خالق هذا العالم ولدينا أسباباً حسنة تجعلنا نوقر (الآب) الذى علمنا هذه الأشياء والمولود منه يسوع المسيح الذى صلب على عهد بيلاطس البنطى وإلى اليهودية فى عهد طيباريوس قيصر.. والروح القدس الذى أعطى النبوة.. نحن نعلم بأن الكلمة هو بكر الآب مولود منه بدون زرع بشر، يسوع المسيح معلمنا الذى صلب ومات وقام وصعد إلى السموات"[٤].

(٤) الشهيد يوستينوس: دفاع ٦:١،٦٧،٣١،٢١.



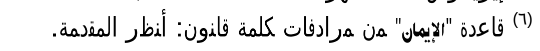
ثالثاً: القديس إيريناوس (كتب ما بين ١٥٠–٢١٠):

فى هذه الفترة كثرت الهرطقات وانتشرت ومع هذا فهو يكتب "إن الكنيسة مبعثرة فى كل أرجاء المسكونه لكن لها إيمان واحد سلم من الرسل ثم إلى تلاميذ الرسل وعلى الرغم من أن لغات البشر تختلف إلا أن جوهر التقليـد واحـد فى كل مكان"[٥].

ولقد أوجد القديس إيريناوس تعبيراً رائعاً ودقيقاً استخدمه فى مناسبات عديدة ليصف به محتويات العقيدة وتعاليم الكنيسة ذلك هو تعبير "قاعدة الإيمان"[٦]. ولهذا يكتب فى مقالة شرح الإيمان الرسولى ضمن كتـاب عـن "الكـرازة الرسولية" فيقول: "هذا هو ترتيب قاعدة إيماننا وهى أساس الإيمان الثابت الذى شيد عليه تجديـدنا: ا الآب لـيس مخلوقاً ولا محسوساً (ماديا) غير منظور إله واحد، خالق كل الأشياء هذا أول موضوع فى إيماننا والموضوع الثـانى هو كلمة ا - إبن ا - المسيح يسوع ربنا. الذى أعلن للأنبياء بطريقة نبوية وحسب تدبير الآب الذى به (الكلمة) خلقت كل الأشياء، الذى فى آخر الأزمنة - لكى يكمل ويجمع كل شئ - تجسد وصار إنساناً وعاش مع النـاس بـل صار ظاهراً ومحسوساً لكى يبيد الموت ويظهر الحياة ويخلق شركة بين ا والبشر، والموضوع الثالث هو الـروح القدس الذى به تنبأ البطاركة (إبراهيم وإسحق ويعقـوب) وعلموا ما يخص ا ، وقاد الأبرار إلى طريق البر الذى فـى آخر الأزمنة سكب على البشر فى كل أرجاء الأرض بطريقة جديدة لكى يجدد الإنسان ويعيده " (إيريناوس: الكرازة الرسولية الفصل السادس).

ولأن الفترة التى عاش وكتب فيها القديس إيريناوس كانت فترة مليئة بالهرطقات والأفكار الغريبة عـن الإيمـان السليم، فلقد كان القديس إيريناوس واضحاً كل الوضوح فى كتاباته "ضد الهرطقات" واجتهد أن يظهـر لهـم إيمـان الكنيسة فى صياغة محددة ومعروفة فكتب قائلاً: "لأن الكنيسة المبعثرة فى كل أرجاء المسكونة وحتى أقصاء الأرض قد استلمت من الرسل والتلاميذ ما وصل إلينا: إيمانهم فى ا الواحد الآب ضابط الكل الذى خلـق السـماء والأرض والبحار وكل ما فيها. والمسيح الواحد يسوع إبن ا الذى تجسد لأجل خلاصنا وبالروح القدس الذى أعلن من خلال الأنبياء التدبير الخلاصى الذى تضمن مجئ (الإبن) والميلاد من العذراء والآلام والقيامة من بين الأموات وبصـعوده إلى السموات ومجيئه الثانى من السموات بمجد الآب لكى يجمع كل الأشياء ويقيم من جديد أجساد البشـرية كلهـا.. لكى يدين بالعدل كل البشر لأنه سيرسل إلى النار الأبدية كل قوات الشر الروحية والملائكية الذين أخطأوا أو عصـوا وكل الأشرار من الناس أما الأبرار فإنه سيعطيهم الحياة والخلود ضامنا لهم المجد الأبدى" (إيريناؤس: ضد الهرطقات ١٠:١ مجلد ٥٤٩:٧).

وإن كانت الأسفار المقدسة قد احتوت إعترافاً بالإيمان إلا أن وجود صيغة محدده للإيمان ومعروفة كانت ضرورية لمن ليس لديهم هذه الأسفار بلغتهم من الشعوب غير اليونانية واللاتينية، فيقول ق. إيريناوس: "هؤلاء ليس لـديهم الأسفار المقدسة بلغتهم لكنهم يعرفون محتويات الرسالة والإيمان المسيحى لأنه مكتوب على قلوبهم وهم يعلنون مع الذين لديهم الأسفار الإيمان بإله واحد خالق السماء والأرض وكل ما فيها فى المسيح يسوع إبن ا الذى جـاء مـن



[٥] إيريناوس : ضد الهرطقات ١٠:١، ٢:١ مجلد ٥٤٩:٧.

[٦] قاعدة "الإيمان" من مرادفات كلمة قانون: أنظر المقدمة.



أجل عظم محبته للخليقة وولد من العذراء لكى يتمجد فيه الإنسان با . ومات على عهد بيلاطس البنطى وقام وصعد بمجد عظيم وسيأتى فى اليوم الأخير.. والروح القدس"[٧].

القديس هيبوليتوس : (استشهد عام ٢٣٥م) :

من أهم ما كتب ق. هيبوليتوس أو أبوليدس كما نسميه بالعربية، هو

كتاب "التقليد الرسولى" وهذا الكتاب هو أقدم ما وصل إلينا عن قواعد العبادة والخدمة بالكنيسة ويتضـمن أيضـاً طقس رسامات درجات الكهنوت الثلاثة ثم القداس والمعمودية وفى كتاب آخر له كتب ضد هرطقة نوؤيتس يذكر ق. هيبوليتوس الصيغة التى أقرها الأساقفة بسميرنا فى آسيا الصغرى عن الإعتراف بالإيمان فيقول: "نمجد الإله الواحد ولكن كما نعرفه ونقبل المسيح إبناً الذى تألم كما هو معروف لنا ومات بالطريقة المعروفة (الصليب) وقـام فـى اليوم الثالث وهو عن يمين الآب وسيأتى ليدين الأحياء والأموات" (هيبوليتوس: ضد نوئيتس ١:٢٣٥-٢٣٧).

رسالة الرسل :

فى نص يرجع تاريخه إلى القرن الثانى تقريباً ويسمى Epistula Apostolourm رسالة الرسل، نـرى صـورة مبسطة لاعتراف الإيمان وتتركز على بنود خمسة للإيمان.

وجاء فى هذا النص شرح لمعجزة الخمس خبزات التى أشبعت الجموع حيث أن البنود الخمس للإيمان هى هـذه الخبزات:

١- الإيمان بالآب خالق الكون.
٢- بيسوع المسيح فادينا.
٣- بالروح القدس المعزى.
٤- بالكنيسة الجامعة.
٥- بمغفرة الخطايا[٨].

السمكة IXθγΣ :

وردت عبارة "يسوع المسيح إبن الله المخلص" كتعبير مختصر عن الإيمان المسيحى وكان رمز السمكة هو المعبر عـن هذا الإيمان حيث أن حروف كلمة أختيس IXθγΣ هى الحروف الأولى من هذه الكلمات الخمس.

ولقد شهد العلامة ترتليان ونفوش Abercuis بذلك كما وردت هذه العبارة فى مؤلفات الكتاب المسيحيين كقانون إيمان يعبر عن المعتقد المسيحى.

القرن الثالث الميلادى :

تمدنا مصادر القرن الثالث الميلادى بطريقة ممارسة الإعتراف بالإيمان. فكما كانت فرصة القدوم للمعمودية هـى المناسبة الأولى التى تلزم ضرورة الإعتراف بالإيمان. فقد كانت طقوس المعمودية ذاتها هى المناسبة الثانية لما يتم

---

[٧] ضد الهرطقات ٤:٣،٢ مجلد ٨٥٥:٧.
[٨] أنظر كواستن جـ١ ص٢٥.



فيها من "استجواب" فى الماء للوقوف على مدى استعداد المعمد لقبول هذا الإيمان والإعتراف بـه فيقـول العلامـة ترتليان: "*عندما نغطس ثلاث مرات نجيب إجابة أطول من تلك التى قررها الرب فى الإنجيل*"[٩] أى اعتراف بالإيمـان أكثـر تفصيلاً من صيغة التعميد كما جاءت فى (مـت ١٩:٢٨). وهذا الإستجواب كان فى صورة أسئلة محددة يسألها الكـاهن وهو يضع يده على رأس المعمد فى الماء وفى كل مرة يجيب بأؤمن.

١- هل تؤمن با   الآب ضابط الكل؟ فيرد المعمد قائلاً: أؤمن به. عندئذ فليعمده للمرة الأولى ويده على رأسه ثم يقول.

٢- هل تؤمن بالمسيح يسوع ابن ا   الذى ولد بفعل الروح القدس ومن العذراء مريم ومات وقبر وقام حيا مـن بين الأموات فى اليوم الثالث وجلس عن يمين الآب وسيأتى ليدين الأحياء والأموات؟ فيقول المعمد: أؤمـن. عندئـذ يعمده للمرة الثانية وليقل له من جديد.

٣- هل تؤمن بالروح القدس وبالكنيسة المقدسة وبقيامة الجسد؟ فيقول المعمد: أؤمن. وعليه يعمده المرة الثالثة، وعندما يخرج من الماء يدهنه الكاهن بالزيت المقدس باسم يسوع المسيح[١٠].

غير أنه بإنتهاء طقس المعمودية لا تنتهى الفرصة للإعتراف بالإيمان وذلك لأن كل صلاة وإجتماع مسيحى يعنـى الإعتراف بالإيمان لاسيما الإفخارستيا.

ونظراً لإنتشار الهرطقات والتى كان هدفها تحريف الحق لذلك كان هناك ضرورة لعـدم الإكتفـاء بمـا تـم فـى المعمودية من إستجواب وضرورة الإعتراف بالإيمان بعد أن يتحدد لا فى الصيغة الرسولية فقط والمعروفة لنـا فـى العهد الجديد بل بإضافة كلمات وتعبيرات معينة ترد على الهرطقات المنتشرة.

قانون دير البلايزة :

هو قانون الإيمان المستخدم فى المعمودية فى الكنيسة القبطية ومعروف فى علم الليتورجيات باسم قـانون ديـر البلايزة حيث نجد مصادره الطقسية فى نصوص آباء الإسكندرية وبالذات العلامة أوريجينوس "*إعترف بإلـه واحد الله الآب ضابط الكل وبابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا وبالروح القدس المحيى وبقيامة الجسد وبالكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية*".

حيث يقوم الكاهن بترديد هذا النص أمام الأشبين ثم يسأله ثلاث مرات قائلاً: آمنت عن هذا الطفل؟ فيجاوبه ثـلاث مرات قائلاً: آمنت[١١].

وهذا النص يردده أيضاً الأسقف أو الأب البطريرك عند رسامته.

---

[٩] ترتليان : الإكليل٣.

[١٠] أنظر الدسقولية : ص٤٩٠.

[١١] كتاب صلوات الخدمات فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٣٣-٣٤.



قانون الإيمان الرسولى :

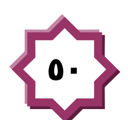
يشمل هذا القانون ١٢ بند من وحى العهد الجديد تتضمن ملخصا للعقيدة ولتعاليم الرسل.

ويسمى بقانون الإيمان الرسولى لأنه يحمل روح الآباء الرسل وتعاليمهم حتى ولو كانوا هم أنفسهم لم يصيغوه. فيذكر الحقائق الإلهية بدأ من الخليقة حتى قيامة الجسد والحياة الأبدية ويركز الأنظار حول عمل المسيح الخلاصى والإيمان بالثالوث الأقدس.

يرجع هذا القانون إلى القرن الثانى الميلادى وإن كان نصه الحالى لم يظهر قبل القرن السادس ويذكر روفينيوس فى القرن الرابع النص اللاتينى ويوضح أصله قائلاً: إن هناك تقليداً بأن الرسل بعد قبولهم الروح القدس وقبل خروجهم للكرازة اتفقوا معا على ملخص مبسط للتعليم الرسولى كأساس لكرازاتهم وقانون إيمان للمؤمنين[١٢].



[١٢] القمص تادرس يعقوب: قانون الإيمان للرسل ص ١٣.





د. جوزيف موريس فلتس

سبق أن عرفّنا الدور الهام الذى قام به آباء الكنيسة فى تحديد وصياغة العقيدة وتحديدها بالصورة التى وافقت عليها الكنيسة فى مجامعها المسكونية الثلاثة الأولى. ولقد عبّر بعض هؤلاء الآباء عن إيمانهم هذا وعقيدتهم ليس فقط فى كتاباتهم العقائدية والدفاعية بل أيضاً فى نصوص ليتورجية فجاءت هذه النصوص لتطابق الممارسة الأفخارستيه. وسنحاول هنا شرح هذا الأمر وعلاقة الأفخارستيا كممارسة بالعقيدة التى لعب لآباء دوراً هاماً فى صياغتها.

معنى كلمة إفخارستيا Ευχαριστια :

هى كلمة يونانية بمعنى الشكر من الفعل اليونانى Ευχαριστω بمعنى يشكر.

وترد الكلمة فى المصطلحات الكنسية أحياناً مصحوبة بكلمة Θεια فتصبح Θεια Ευχαριστια بمعنى الشكر الإلهى.

أى شكر نعبر عنه بتقدمة ما سواء بالتسبيح أو بالصلوات أو بالذبائح، فالقديس ايريناوس[١] يرى أن من الأهداف الأساسية لسر "الأفخارستيا" هو أن يقدم الإنسان - بلسان الخليقة كلها - شكراً من أجل خالق العالم وما أعطى له من بركات.

٢- سر الإفخارستيا :

أو سر الشكر، هو ذلك السر الذى أسسه الرب يسوع نفسه فى ليلة آلامه كما يروى لنا ذلك الإنجيليون الأربعة[٢].

هذا وقد مارست الكنيسة الأولى هذا السر بعد قيامة الرب إذ يخبرنا القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل أن جماعة المؤمنين الأولى "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع ٢:٤٢)، وهذا معناه أن الرسل قد سلموا لنا ما قد تسلموه وعاشوه من خبرة وشركة حياة[٣] فى الثالوث الأقدس كى تحيا الكنيسة وبإستمرار وعلى مر العصور سر التدبير الإلهى الذى تممه المسيح مرة بتجسده وصلبه وقيامته، وهكذا تقدم - الكنيسة - "سر

---

(١) ايريناوس: ضد الهراطقة الكتاب الرابع ٤:١٨.

(٢) (مت ٢٦:٢٦-٣٠، مر ١٢:٤١-٢٢، لو ٢٢:١٤-٢٤، يو ١٣).

(٣) وهذا ما عبر عنه يوحنا فى رسالته الأولى إذ يقول فى الإصحاح الأول "الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم شركة معنا. أما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكى يكون فرحكم كاملاً" (ايو ١:١-٥).



الشكر الإلهى" فرحةً بما أعطاه الرب إياها يوم الخميس، إذ أنه من خلال الخبز والخمر الممزوج، وهبنا جسده ودمـه لغفران الخطايا ولحياة أبدية.

تسمى الكنيسة الإفخارستيا "بسر الشكر"، وهذا ليس معناه أنه شئ غامض أو غير معلن لأن هذا هو عكس ما قـد حدث إذ يقول معلمنا بولس الرسول: "عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد" فا لم يره أحد قد استعلن فى إبنـه يسوع المسيح الذى أسس الكنيسة التى هى جسده وهو رأسها وترك لنا فى كل مرة نجتمع فيهـا معـاً لنقـدم "سـر الشكر" جسده ودمه المحيين حاضرين على المذبح[٤]. أو كما يسميها القديس كيرلس "التقدمة حاملة الحيـاة" أو بعبارة القديس أثناسيوس "دواء عدم الموت".

فباجتماعنا لنقدم سر الإفخارستيا يستعلن ملكوت ا فينا، إستعلان أن ا يملك علينا، فالإفخارستيا هـى تحقيـق لوحدة شعب ا الجديد بعدما جمع هذا الشعب بواسطة المسيح وفيه، فلقد أتى المسيح "ليجمع أبناء الله المتفـرقين إلى واحد" (يو ١١:٥٥). والكنيسة المجتمعة حول "سر الإفخارستيا" حتى لو اقتصر عدد أعضائها على "اثنين أو ثلاثـة" هـى صورة جسد المسيح وعلامة حضوره.

معنى كلمة سر :

وهذا ما نفهمه نحن المؤمنين من كلمة سر وما يعبر عنه ذهبى الفم عندما يقول: "نسميه سـراً" لأن الذى نؤمن به ليس هو ما نراه، بل إننا نرى شيئاً ونؤمن بشئ آخر، فحينما أسمع أحداً يذكر كلمة المسيح أفهم معنى ما يقال غير ما يفهمه من لا يؤمن[٥].

لهذا ونحن نعيش اليوم عصراً رهيباً يهدد حياتنا الروحية، ونعيش عالماً مليئاً بالأفكار الغريبة، عالم لم يعد فيـه الرب هو ذو مقياس كل الأمور بل الإنسان، بل صارت الأيدولوجيات فيه والمثل العليا لا الإيمان هى التى تحدد الحالة الروحية للعالم، ولم يعد هذا هو العالم الذى أعلن المسيح أنه منحنا إياه.

علينا إذن لمواجهة هذه الأزمة أن نولى إهتمامنا لا لمعاينة العناصر التى تتألف منها الأزمة بل سر الأفخارسـتيا والكنيسة التى تعيش هذا السر فالكنيسة تؤمن إيماناً راسخاً بعدم إمكانية فصل "قانون الإيمـان" أى ما نؤمن بـه ومـا نعتقد فيه عن "قـانون العبـادة" أى عن الطريقة والتعبير الذى يعكس هذه العقيدة ويجسدها. فهما ينصهران معـاً فـى بوتقة واحدة بشكل تصبح فيه "عقيـدتنا مطابقـة للأفخارسـتيا والأفخارسـتيا مثبتـة لعقيـدتنا"[٦]، وذلـك لأن تـدبير ا الخلاصى يصل إلينا من خلال جسده أى فى الكنيسة وسوف تظل الإفخارستيا قمة عبادتنا وأرفع تعبير عن إيماننا.

والكنيسة الأرثوذكسية تعتبر الإنسان مخلوقاً "ليتورجيا" قبل كل شئ، يتحصص وجوده عندما يمجد ا ويجد كماله وارتياحه فى العبادة، لهذا وضعت الكنيسة كل خبرتها الروحية فى الليتورجية التى تعبر بها عـن إيمانهـا أوضـح تعبير، والمسيحية ديانة ليتورجية، والكنيسة قبل كل شئ جماعة مصلية والإنسان الأرثوذكسى يـدخل إلـى الحيـاة الروحية من خلال الليتورجية والعقيدة تفهم من خلال العبادة.

---

[٤] من خلال صلاة الطلبة فى أسبوع البصخة المقدسة.

[٥] ذهبى الفم : عظة على الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

[٦] ايريناوس أسقف ليون: المرجع السابق.



وكلمة أرثوذكسى تعنى الإيمان القويم والعبادة الحقة فى نفس الوقت لأن كلا الأمرين لا يفترقان.

فليست العقائد مجرد نظام فكرى يدركه الإكليروس ويشرحه للعلمانيين بل هى مجال فيه يرى جميع أمـور الأرض بالنسبة لعلاقتها بالسماء وذلك بنوع خاص من خلال خدم الليتورجية.

وبناء عليه فإن الطقوس التى تمارس والنصوص التى يصلى بها أثناء الليتورجيـات سـواء كانـت فـى سـر الإخارستيا أو باقى أسرار الكنيسة هى التعبير الواضح والقويم عن عقيدة الجماعة المسيحية فهى تعكـس إيمانهـا بالنسبة الواحد مثلث الأقانيم وعمله الدائم من أجلها ومن أجل خلاصها منذ خلق الإنسـان الأول، وكـل مراحـل التدبير الإلهى وإلى مجئ الرب الثانى.

فنجد أن هذه الطقوس وهذه النصوص تضع أمامنا العقائد الأساسية الآتية فى إشارات وحركات وعبارات دقيقـة وعميقة المعنى:

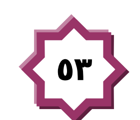
١- الثالوث.
٢- الخلق.
٣- السقوط.
٤- التجسد.
٥- الروح القدس.
٦- طبيعة المسيح.
٧- ماهية الكنيسة.

فعلى سبيل المثال تطرح نصوص الليتورجيات (القداسات) الثلاث التى بين أيـدينا (الباسـيلى - الغريغـورى - الكيرلسى) ما عبر عنه ثلاثة من كبار آباء ومعلمى العقيدة فى الكنيسة الأولى وعلى وجه الإطلاق. وكان طبيعيـا أن تعكس هذه النصوص إيمان الكنيسة فى عصور ظهرت فيها الهرطقات والبدع التى تنكر ألوهية الإبن والروح القدس وتقسم المسيح الواحد إلى اثنين، الأمر الذى يقود تباعا إلى هدم الأساس الخلاصى لسر العبادة الإفخارستى فكما قلنا سابقاً إن العبادة الحقة لا تفترق عن الإيمان القويم.

وما كان دفاع هؤلاء الآباء بل وكل آباء الكنيسة عن العقيدة إلا لأن الهرطقة كانت ستضيع الجانـب الخلاصـى، وهو الأهم فى كل عمل التدبير الإلهى من أجل البشرية.

بل تأكيد لهذا المفهوم أصبح قانون الإيمان (نيقية - القسطنطينية) هو جزء أساسى ومهم فى كل عبادة ليتورجية وبالأخص أثناء تقديمنا لسر الشكر (الأفخارستيا) بل إنه بداية ما يسمى قداس المؤمنين. فبترديدنا قـانون الإيمـان هذا، نؤمن ونعترف بالعقائد الأساسية الآتية:

١- ا الواحد - مثلث الأقانيم.
٢- التجسد - الفداء.
٣- ألوهية الروح القدس.
٤- قيامة الأموات - الدهر الآتى.
٥- المعمودية الواحدة - الكنيسة الواحدة.



وفى الطقس القديم - وعند الروم الأرثوذكس إلى الآن - ينادى الشماس بعد قراءة الإنجيل وخروج الموعوظين[٧] بعد إنتهاء قداس الموعوظين "الأبواب الأبواب" ويبقى فقط المؤمنين الذين تعمدوا على إسم الثالوث ولهم الإيمان الأرثوذكسى المعبر عنه بقانون الإيمان والذين - فى إيمانهم الواحد هم يجتمعون حول المسيح "والذى جمع فيه المتفرقون إلى واحد" ليقدموا له ذبيحة الشكر هذه وليثبتوا فيه وهو فيهم بتناولهم من "جسد الحياة"[٨] فيحيوا إلى الأبد. فالإفخارستيا إيمان وإعتراف بالمسيح، هكذا يعلق القديس كيرلس عمود الدين نفسه فى تفسيره لما جاء فى إشعياء "وجاء أحد السيرافيم وفى يده مجمرة متقدة أخذها من على المذبح بملقط وقال لى هذه ستلمس شفتيك لتنزع إثمك وتطهرك من خطاياك" (إش ٦:٦،٧). فيقول القديس كيرلس: "نحن نقول أن الجمرة المتقدة هى مثال وصورة للكلمة المتجسد لأنه عندما يلمس شفاهنا أى عندما نعترف بالإيمان به فإنه ينقينا من كل خطية ويحررنا من اللوم القديم الذى ضدنا" وفى مفهوم الآباء ومنهم القديس كيرلس أن رؤية إشعياء هى إعلان نبوى عن الإفخارستيا.

فالإفخارستيا، وكما قلنا سابقاً هى إعتراف بالمسيح ما يعادله إعتراف كما أن التناول هو إيمان بالمسيح على أرفع الدرجات. ولهذا نسمع الكاهن عندما نتقدم لنتناول جسد الرب ودمه يقول :

- جسد حقيقى ليسوع المسيح إبن إلهنا.
- دم حقيقى ليسوع المسيح إبن إلهنا.
- يعطى لمغفرة الخطايا.
- وحياة أبدية لمن يتناول منه.

وفى كل مرة لابد وإن نجاوب بكلمة آمين والتى تعنى هنا "حقاً أؤمن وإعترف"، وإلا لن نتقبل البركات السرية ونتقدس، هكذا يعلمنا القديس كيرلس عندما يقول: "وإذ نكرز بموت ابن ا الوحيد حسب الجسد أى موت يسوع المسيح ونعترف بقيامته من بين الأموت وصعوده إلى السموات فإننا نقدم الذبيحة غير الدموية فى الكنائس، وهكذا نتقبل البركات السرية ونتقدس ونصير مشتركين فى الجسد المقدس والدم الكريم للمسيح مخلصنا جميعاً". ثم يضيف: "نحن نفعل هذا لا كأناس يتناولون جسداً عادياً، حاشا، ولا بالحقيقية جسد رجل متقدس ومتصل بالكلمة حسب إتحاد الكرامة ولا كواحد حصل على حلول إلهى، بل باعتباره الجسد الخاص للكلمة نفسه المعطى حياة حقا، وبسبب أنه واحدا مع جسده الخاص"[٩].

وعلى هذا القياس نستطيع أن نلمس أننا أثناء إجتماعنا لنقدم سر الشكر نقدم عبادتنا العقلية المبنيه على أساس إيمانى قويم بكل عقيدة الكنيسة.

---

(٧) اقتصر هذا الطقس الآن عند الروم الأرثوذكس على نداء الشماس فقط باعتبار أن من هم بالكنيسة هم مؤمنون.

(٨) القديس كيرلس عمود الدين: د.موريس تاوضروس - الأفخارستيا عند القديس كيرلس - مركز دراسات الآباء ١٩٩٤ ص١٤.

(٩) رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى: ترجمة د.موريس تاوضروس ود. نصحى عبد الشهيد - مركز دراسات الآباء - القاهرة ١٩٨٨ ص ٢٨،٢٩: وهنا نرى أن القديس كيرلس ينكر على نسطور قوله أن الجسد المقدم فى الأسرار هو جسد إنسان وأنكر عليه أيضاً إعتقاده بأن الآلام هى آلام إنسان والقيامة هى قيامة إنسان والجسد الموضوع فى الأسرار هو جسد إنسان. أنظر د. موريس تاوضروس: الإفخارستيا عند القديس كيرلس، المرجع السابق ص ٨-٩.





د. جوزيف موريس فلتس

سبق أن أشرنا فى المحاضرة الأولى عن "مدخل الى علم الآباء" عن أهمية كتابات الآباء كمصدر أخذت منه الكنيسة منذ العصور الاولى وإلى الآن نصوص القداسات التى نصلى بها ونصوص التسابيح والتماجيد أو ما نطلـق عليهـا "الصلوات الليتورجيا" حيث تستخدم الكنيسة هذه النصوص فى عبادتها الجماعية فى الكنيسة. وتمثل هـذه النصـوص مصدراً غنياً لعقيدة الكنيسة والتى من أهمها عقيدة الثالوث القدوس. وفى هذه المحاضرة سنتناول بالبحث موضـوع عقيدة الثالوث القدوس فى الصلوات الليتورجية.

فالمعروف أن عقيدة الثالوث الأقدس، بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية هى الأساس الراسخ لكل فكر دينـى وتقـوى ولكل الحياة والخبرة الروحية. فالنفس المسيحية فى بحثها عن ا هى فى الواقع تبحث وتفتش عن الثالوث[٢].

ولقد أدرك آباء الكنيسة تلك الحقيقة وعاشوها لهذا نجد أن القديس غريغوريوس يصف عقيدة الثـالوث بأنهـا " رأس الإيمان".. فكل أرثوذكسى يعرف أن الإله الذى يؤمن به هو "إله واحد مثلث الاقانيم" ويبدأ كل صلواته باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين. وفى تلك العقيدة موجز للإيمان المسيحى الذى يتميز به المسـيحيون عـن غيرهم من يقولون أنهم يؤمنون با الواحد.

لقد استعلن الثالوث الأقدس عبر تدبير الخلاص الذى بلغ كماله فى شخص يسوع. فعقيدة الثالوث ليست حصـيلة تفكير بشرى أو فلسفة نظرية عن ا ، ولا نتيجة تطور دينى بدأ فى ديانات الشرق القديم، بل هى إعـلان ا عـن نفسه، ا الذى ظهر لنا ظهوراً خلاصياً فى شخص يسوع المسيح. فالسيد المسيح قد أتى إلينا بإسم ا حاملاً إلينـا خلاص ا وبعد قيامته وصعوده أرسل إلينا روح ا ، هكذا استعلن ا آبا يرسل إبنه المخلص إلى العـالم وروحـه القدوس.

وعند دراستنا لموضوع الثالوث نجد أنه بينما ركز "اللاهوت النظرى" الذى عبر فيه مدافعو القرن الثـانى علـى وحدانية ا ، نجد أن لاهوت "الكنيسة الليتورجى"[٣] والمعبر عنه فى قوانين الإيمان فى طقس المعمودية ثم بعد ذلـك

---

(١) المحاضرة التى ألقيت بلقاء القاهرة السادس للدراسات الآبائية بالمركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، يومى ١٧،١٦ يونيو ١٩٩٧م.

(٢) .The Faith, Clark Carlton, Salisbury, AM, ١٩٩٧. P.٥٣

(٣) ليتورجيا كلمة يونانية الأصل مشتقة من كلمتى λητιτον أو λειον بمعنى عام أو شعبى وكلمة εργον بمعنى عمل. اسـتخدمت قبـل المسيحية لوصف العمل العام الذى يقوم به الشعب كله كما وصفت به العبادة الجماعية. فى الترجمة السبعينية للعهد القديم كانت الكلمة تصف العبادة التى يقوم بها شعب ا . وفى المسيحية تدل على ما يقوم به المسيحيون من عبادات وخصوصاً الإفخارستيا أو سر الشكر الإلهى. أنظر:

فى طقس الإفخارستيا وفى كل ما تمارسه الكنيسة فى ليتورجياتها، يشهد شهادة قوية عن عقيدة الثالوث بما يتمشى مع روح الإعلان الإلهى[٤] وذلك لأن الكنيسة تؤمن إيماناً راسخاً بعدم إمكانية فصل "قانون الإيمان" عن "قانون العبادة" فهما ينصهران معاً فى بوتقة واحدة بشكل تأتى فيه "عقيدتنا مطابقة للإفخارستيا والإفخارستيا مثبته لعقيدتنا"[٥].

وهكذا تأتى الإفخارستيا لتكون هى الينبوع الحى والمحيى للمعرفة التى للكنيسة عن الثالوث. وهذه المعرفة ليست معرفة مجردة تتجسد من خلال العقائد، بل تعرف مستمر وثابت، هى لقاء وخبرة وبالتالى إتحاد بالحياة الأبدية[٦].

فهدف الإفخارستيا هو الإعتراف بالثالوث القدوس وبجوهره الفائق الطبيعة وأن تثبت وتشهد وتصادق على أن معرفة ا هى جوهر الحياة الأبدية (أنظر يو ٣:١٧) وأن المصالحة معه والشركة معه والوحدة فيه كل هذه الأمور معطاة لنا اليوم وإلى الأبد فى الإفخارستيا خلاصاً للإنسان[٧].

عقيدتنا مطابقة للإفخارستيا والإفخارستيا مثبته لعقيدتنا :

الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر الإنسان مخلوقاً ليتورجيا قبل كل شئ، يتحقق وجوده عندما يمجد ا ويجد كماله وارتياحه فى العبادة، لهذا وضعت الكنيسة كل خبرتها الروحية فى الليتورجيا التى تعبر عن إيمانها أوضح تعبير، والمسيحية ديانة ليتورجية والكنيسة قبل كل شئ جماعة مصلية والإنسان الأرثوذكسى يدخل إلى الحياة الروحية من خلال الليتورجية والعقيدة تفهم من خلال العبادة.

ومصطلح "أرثوذكسى" يعنى الإيمان القويم والعبادة الحقة فى نفس الوقت لأن كلا الأمرين لا يفترقان كما سبق القول.

فليست العقائد مجرد نظام فكرى يدركه الإكليروس ويشرحه للشعب بل هى مجال فيه ترى جميع أمور حياتنا على الأرض بالنسبة لعلاقتها با وذلك بنوع خاص من خلال خدم الليتورجيا.

وبناء عليه فإن الطقوس التى تمارس والنصوص التى يصلى بها أثناء الليتورجيات سواء كانت فى سر الإفخارستيا أو فى باقى أسرار الكنيسة هى التعبير الواضح والقويم عن عقيدة الجماعة المسيحية، فهى تعكس إيمانها بالنسبة الواحد المثلث الأقانيم وعمله الدائم من أجلها ومن أجل خلاصها، منذ خلق الإنسان الأول وفى كل مراحل التدبير الإلهى وإلى مجىء الرب الثانى.

فنجد أن هذه الطقوس وتلك النصوص تضع أمامنا العقائد الآتية فى إشارات وحركات وعبادات دقيقة وعميقة المعنى:

Θρησκευτικη και Ηθικη Εγκυκλοπαιδεια τομος, 8. 179.

[٤] Δογμαατικα και Ηθικα Ι: Μ. Φαραντου. Αθηναι. 1983. σ. 65.

[٥] ايريناوس اسقف ليون: ضد الهرطقات ٤-٥:١٨.

[٦] الإفخارستيا، سر الملكوت: للأب ألكسندر شميمن، منشورات النور- بيروت- ١٩٩٣ ص ٢٥١.

[٧] المرجع السابق.

١- الثالوث. ٢- الخالق.

٣- السقوط. ٤- التجسد.

٥- الروح القدس. ٦- طبيعة المسيح.

٧- ماهية الكنيسة.

فعلى سبيل المثال تطرح نصوص الليتورجيات (القداسات) الثلاثة التى نستخدمها الآن (الباسيلى، الغريغورى، الكيرلسى)، أمامنا ما علم به الثلاثة من كبار آباء ومعلمى العقيدة فى الكنيسة الأولى وعلى وجه الإطلاق. وكان طبيعياً أن تعكس هذه النصوص إيمان الكنيسة فى عصور ظهرت فيها الهرطقات والبدع التى تنكر عقيدة الثالوث فى كل صورها سواء بإنكار ألوهية الابن (كالآريوسية) أو بأنكار ألوهية الروح القدس (محاربى الروح القدس) أو بتقسيم المسيح الواحد إلى أثنين (كالنسطورية)، الأمر الذى يقود تباعاً إلى هدم الأساس الخلاصى لسر العبادة الإفخارستى فكما قلنا سابقاً أن العبادة الحقة لا تفرق عن الإيمان بعقيدة قويمة.

وما كان دفاع هؤلاء الآباء بل وكل آباء الكنيسة عن العقيدة إلا لأن الهرطقة كانت ستضيع الجانب الخلاصى، وهو الأهم، فى كل عمل التدبير الإلهى الذى كشف لنا عقيدة الثالوث القدوس. بل تأكيداً لهذا المفهوم أصبح قانون الإيمان (نيقية / القسطنطينية) هو جزء أساسى ومهم فى كل عبادة ليتورجية[٨] وبالأخص أثناء تقديمنا لسر الشكر (الإفخارستيا). فبترديدنا قانون الإيمان هذا نؤمن ونعترف بعقيدة الثالوث التى أقرتها الكنيسة الواحدة فى مجامعها المسكونية وتضمنها النص الذى عبرت فيه الكنيسة عن عمل التدبير الإلهى من أجلنا ومن أجل خلاصنا ذلك العمل الذى كشف وأعلن لنا ا الواحد المثلث الأقانيم.

كذلك كان من جراء إعتماد دستور الإيمان قانوناً يتلى فى قداس الإفخارستيا أن تم التأكيد على الربط الأساس والثابت والأكيد أصلاً، الذى كان من صلب خبرة الكنيسة الأولى وحياتها بين وحدة الإيمان من جهة والكنيسة وتحقيقها ذاتها فى الإفخارستيا من جهة أخرى[٩].

فقديماً كان الشماس ينادى بعد قراءة الإنجيل وخروج الموعوظين بعد إنتهاء قداس الموعوظين "الأبواب الأبواب"[١٠] يبقى المؤمنون الذين تعمدوا على إسم الثالوث ولهم الإيمان الأرثوذكسى بعقيدة الثالوث القدوس والمعبر عنه فى قانون الإيمان والذين فى إيمانهم الواحد هذا يجتمعون حول المسيح "الذى جمع فيه المتفرقون إلى واحد" ليحققوا ذاتهم ككنيسة فى هذه الإفخارستيا مقدمين ذبيحة شكر وليثبتوا فى هذا الإيمان الثالوثى إلى النفس الأخير[١١].

---

(٨) أضيف قانون الإيمان إلى النصوص الليتورجية فى القرن السادس الميلادى تقريباً.

(٩) أنظر الإفخارستيا سر الملكوت ص ٢٠٩.

(١٠) مازال هذا الطقس يمارس إلى اليوم عند الروم الأرثوذكس وإن كان قد اقتصر على منادة الشماس فقط بدون خروج أحد، فمن هم بالكنيسة هم مؤمنون وليسوا موعوظون.

(١١) أنظر صلاة البركة بعد التناول - الخولاجى ص ٣١١ "كملنا فى الإيمان الثالوثى إلى النفس الأخير".



حقائق فى عقيدة الثالوث :

✝ تؤمن الكنيسة بعقيدة الثالوث لأنه حقيقة، فالحق الإلهى هو إهتمام الكنيسة الأوحد، فالمسيح جاء لا لكى يفعل شيئاً حقيقاً، هو جاء ليحضر لنا الحق والحياة، فالحقيقة التى جاء المسيح ليعلنها هى عن ماهية ا ، والحياة التى جاء ليهبها للبشرية ما هى إلا حياة الثالوث فـ "الله لم يراه أحد قط الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر" (يو١:١٨) والسبب الذى لأجله طلب اليهود المسيح ليقتلوه هو أنه قال عن نفسه: "أنا والآب واحد" (يو ١٠:١٤).

❀ يوجد إله واحد لأنه يوجد آب واحد الذى هو مصدر وأساس الألوهية فالآب يلد إبنه ويبثق روحه، والإبن هو إبن ا ، وكذلك الروح هو روح ا .

فا واحد وتمايز الأقانيم لا يقسم الجوهر الإلهى بأى شكل من الأشكال ولا يوجد ثلاثة آلهة.

يوجد جوهر إلهى واحد فى ثلاثة أقانيم تشترك معا فى الأزلية، والمساواة. والوحدة المطلقة لا تقلل بأى حال من الأحوال حقيقة التمايز بين هذه الأقانيم، وبعبارات أخرى فالآب والابن والروح القدس أقانيم حقيقية وليست مجرد أدوار يقوم بها ا فى أوقات مختلفة. ففى ولادته للابن وبثقة للروح القدس فإن الآب يعطى لهما نفس الطبيعة الإلهية أو الجوهر الإلهى. ولكى تصف الكنيسة هذه الحقيقة فإنها تستخدم عبارة "من الجوهر نفسه" أو ομοουσιος.

فكل من الأقانيم الثلاثة له كمال الطبيعة الإلهية، فا لا ينقسم لثلاثة أجزاء وذلك لأن الطبيعة الإلهية (أو الجوهر الإلهى) هى طبيعة واحدة غير منقسمة وغير مركبة فى نفس الوقت، فالتركيب بداية التقسيم.

وبسبب أن الإبن والروح القدس لهما ملء الطبيعة الإلهية فهما ليسا بأقل من ا الآب فى الالوهه بالرغم من أنهما يستمدان كينونتهما منه، فكل أقنوم إذن - من الأقانيم الثلاثة - هو تام وكامل فى الآلوهه لئلا نعتقد بأنهم طبيعة واحدة كاملة مركبة من ثلاثة غير كاملين.

كيف تعبر الليتورجيا[١٢] عن هذه الحقائق ؟

تضع الليتورجيات هذه الحقائق الإيمانية فى تعبيرات دقيقة وعميقة تصلى بها الكنيسة لتربط بين "قانون الإيمان" و"قانون العبادة" كما سبق القول.

١ – الآب : اسم علاقة :

فى بداية صلاة رفع البخوربحيث يقف الكاهن أمام الهيكل يقول: "ارحمنا يا ا الآب ضابط الكل، أيها الثالوث المقدس ارحمنا"[١٣].

فبدأ ذى بدء تعلن الكنيسة إيمانها الثالوثى السليم معترفة، فى عبارة مختصرة، بإن الآب هو علة ومصدر الثالوث، فالكنيسة لا تؤمن با فقط، بل تؤمن "با الآب ضابط الكل" وبإبنه يسوع المسيح وروحه القدوس. لهذا

---

(١٢) النصوص المستخدمة هنا من خولاجى "القداسات الثلاثة" إصدار جمعية أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المركزية بشبرا - الطبعة الرابعة - ١٩٧٦م.

(١٣) المرجع السابق ص٢.



تصلى الكنيسة مباشرة "أيها الثالوث القدوس ارحمنا". وتجد هذه العبارة صدى كبيراً عنـد القـديس غريغوريـوس اللاهوتى والمشهور بأنه "المادح للثالوث القدوس"[١٤] فيقول أن: "لفظ الآب ليس اسم جوهر ولا اسم فعل،.. أنه اسم يدل على ما هو الآب بالنظر إلى الإبن، أو ما هو الإبن بالنظر إلى الآب"[١٥].

ولأهمية هذه الحقيقة الإيمانية فإننا نجدها تتكرر خلال الليتورجيات فى عبارات مترادفة، فعلى سبيل المثال نقـول فى صلاة الشكر: "فلنشكر صانع الخيرات الرحوم ا أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح" (الخولاجى ص ٦،٤).

وفى بداية كل أوشية (طلبة) يقول الكاهن: "فلنسأل ا ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصـنا يسـوع المسـيح.." (الخولاجى ص٢٥، ٣٢، ٦٣، ٧٤، ١١٧،..).

ثم يأتى قانون نيقيا / القسطنطينية ليضع لنا دستور إيماننا فى صياغة أقرتها الكنيسة معبرة عن الفهـم السـليم لعقيدة الثالوث لهذا نقول: "نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل.." (الخولاجى ص ١٩٣).

فعندما نتكلم عن "ثالوث الآب" نكون قد فهمنا الثالوث فهماً دقيقاً صحيحاً، فـنحن لا نتحـدث عـن الآب والإبـن والروح القدس كمنفصلين ثم نكون منهم وحدانية ولكن بالأحرى ننظر إلى الإبن مرتبطاً بالآب وكذلك للروح القـدس مرتبطاً بالآب وفى نفس الوقت يكون لكل أقنومه الخاص[١٦].

أ- الإبن مرتبط بالآب (مولود من الآب) :

❁ فنقول فى القداس: "بالنعمة والرأفات التى لأبنك الوحيد" (الخـولاجى ص ٢٣،١٢٢). وفى أوشية الإنجيـل يقـول الكاهن: "افتح حواسنا... بأوامرك المقدسة كمسرة ا أبيك الصالح" (الخولاجى ص ٥٦،٨١،١٣٨).

وبعد قراءة الإنجيل يقول الكاهن: "وأنت الذى ينبغى لك التمجيد بصوت واحد من كل أحد والمجد والإكرام والعظمة والسجود مع أبيك الصالح" (الخـولاجى ص٦٢،٧٨). وفى صلاة القسمة يقول: "أيها السيد الرب إلهنا العظيم البـدى... الذى أعطانا الخلاص من خطايانا بإبنه الوحيد يسوع المسيح ربنا حياة كل أحد" (الخولاجى ص ١٢٢،٢٧٤).

وفى صلاة ختام رفع البخور فى صوم الميلاد يصلى الكاهن "ياربى يسوع المسيح المولـود مـن الآب قبـل كـل الدهور" (الخولاجى ص٩٣).

ب- الروح القدس نرتبط بالآب (منبثق من الآب) :

فى نهاية صلاة الشكر التى تبدأ بالتوجه إلى ا الآب ضابط الكل، نقول "... مع الروح القدس المحيى المسـاوى لك (الآب)" (الخـولاجى ص١٢) وفى أوشية بخور عشية للإبن نقول: "هذا الذى أنت مبارك معه مـع الـروح القـدس المحيى المساوى لك (الإبن) وهذا بالطبع لوحدة الجوهر الإلهى للأقانيم الثلاثة" (الخولاجى ص١٦، ٥٥، ٥٧، ٦٢، ٧٨، ٨٠، ٨٦).

---

(١٤) V.Lossky:HΜυστικη θεολογια της Ανατολικης Εκκλησιας. p.٤٩.

(١٥) خطبة ٢٩ فقرة ١٦ من خطب غريغوريوس النزينزى اللاهوتية: عن كتابه الخطب ٢٧-٣١ اللاهوتية، سلسلة النصوص اللاهوتيـة، منشورات المكتبة البولسية، بيروت ١٩٩٣م ص ٩٦.

(١٦) علم اللاهوت العقيدى جـ٢: دكتور موريس تاوضروس ص٧٧.



وفى أوشية السلامة التى تبدأ بعبارة "وأيضاً فلنسأل ا ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسـوع المسـيح"... يكمل الكاهن صلاته إلى ا الآب قائلاً: "فلتحيى نفوسنا بروحك القدوس" (الخولاجى ص ١٨١).

وفى صلاة خضوع للآب بعد صلاة أبانا الذى يقول الكاهن: ".. نشكرك أيها الرب الإله ضابط الكل... لكى نكـون مملوئين من روحك القدوس" (الخولاجى ص ٢١٨). ويكرر فى صلاة التحليل "أيها السيد الرب الإلـه ضـابط الكـل... محاللين من فمى بروحك القدس" (الخولاجى ص٢٨٧) ويأتى قانون الإيمان أيضاً ليثبت كل هذا فنقـول: "نعـم نـؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب".

٢ – الثالوث الكامل :

لكل من الآب والابن والروح القدس أقنومه الكامل، لئلا نعتقد بأنهم طبيعة واحدة كاملة مركبة مـن ثلاثـة غيـر كاملين كما سبق القول. والأقانيم الثلاثة جوهر بسيط واحد غير مركب فالتركيب بدء التقسيم كما أشرنا سابقاً، وكـل من الأقانيم الثلاثة هو فى الآخر وهو ما يسمى فى اليونانية αλληλοπεριχωρηση ولهذا فنحن نـؤمن بعـدم تركيب الأقانيم وبعدم اختلاطهم أيضاً. وبأن مشيئتهم وفعلهم وقوتهم وسلطتهم هى هى، وبأنهم واحد غير منقسم.

ولهذا فإننا نختم كل طلبة بالمجد والكرامة للأقانيم الثالوث معاً.

ففى ختام العظة يرد الشعب المرد المعروف والرائع: Ge `f`cmarwoit "لأنه مبارك الآب والإبن والروح القدس الثالوث الكامل نسجد له ونمجده" (الخولاجى ص ١٧٨).

وبه أيضاً يختم المزمور ١٥٠ الذى تسبح الكنيسة أثناء التناول..

الإفخارستيا هى لقاء وخبرة حياة الثالوث القدوس :

نختم قولنا بما سبق الإشارة إليه فى بداية هذا المقال بأن الإفخارستيا هى الينبوع الحى والمحيى للمعرفـة التـى للكنيسة عن الثالوث القدوس. وهذه المعرفة ليست معرفة مجردة تتجسد من خلال العقيدة، بل هى تعـرف مسـتمر، هى لقاء وخبرة وبالتالى إتحاد بالحياة الأبدية (أنظر ١يو ١:١-٤).

ويتضح هذا مما يحدث عند تقديم الحمل (الخبز والخمر)، فنحن نعلم مسبقاً أن هذا الخبز مثله مثل أى شئ آخـر فى العالم قد تقدس بتجسد إبن ا ، أحد أقانيم الثالوث القدوس وتأنسه، كما نعلم أن هذا التقديس يكمن تحديداً فى أنه فى المسيح أعيد إلى الإنسان إمكان تقديم ذاته والكون معه ذبيحة لخالقه، وأيضاً نعلـم أن إكتفـاء الإنسـان بذاتـه مستغنياً عن ا هو تجربة فاشلة وبالية تجاوزتها الكنيسة منذ زمن بعيد، فالإستغناء عن ا مثـلث الأقـانيم هـو الخطية بعينها التى لا ترى فى الخبز إلا خبزاً وطعاماً فاسداً بائداً لإنسان زائل ودليل على إتحاد الإنسـان بالخطيـة والموت. أما كل من يؤمن به فيعلم فى المقابل أنه فى المسيح لم يعد الطعام الأرضى الذى نتناوله يتحول إلى لحمنـا ودما بل أيضاً إلى الغاية الأولى التى فيها يتسربل كل ما هو مائت بعدم الموت والتى فيها تكون للحياة الغلبـة علـى الموت[١٧].

---

[١٧] الإفخارستيا سر الملكوت، المرجع السابق ص ١٦٠، ١٦١.



ومن هنا كانت أنشودة الكنيسة كلها فى دورة الحمل هى أنشودة الثالوث فيقول الكاهن أولاً: "مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً للثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس" (الخولاجى ص ١١٠).

وخبرة الثالوث تعطى سلاماً وتبنى الكنيسة بنياناً واحداً بسبب الإيمان (الثالوثى) الواحد لهذا يكمل قائلاً: "سلاماً وبنياناً لكنيسة ا الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية" (الخولاجى ص ١١٠) ثم يعود الكاهن فيرشم الخبز والخمر باسم الثالوث فيقول: "باسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد، مبارك ا الآب ضابط الكل آمين، مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين، مبارك الروح القدس آمين" (الخولاجى ص ١١٣،١١٤).

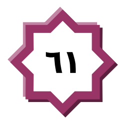
ثم يرد الشماس مشتركا فى هذه الأنشودة الثالوثية فيقول: "واحد هو الآب القدوس، واحد هو الإبن القدوس، واحد هو الروح القدس آمين، مبارك الرب الإله إلى الأبد.." (الخولاجى ص ١١٤).

وبعد ذلك يهتف الشعب كله تمجيداً للثالوث "المجد للآب والإبن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين" (الخولاجى ص ١١٥).

وفى مشاركة الكنيسة (كثالوث) أى الكاهن والشماس والشعب، فى خبرة الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس تكمن حقيقة أن الإفخارستيا هى إعلان لحياة الشركة والتى دعيت الكنيسة إلى تجسيدها فى حياتها، وهو ما يعنى بدوره أن كل شخص وكل حياة الجماعة الكنسية تجد كمالها وغايتها فى الإفخارستيا وفى خبرة حياة الشركة فى الثالوث الأقدس.

ملاحظة :

اقتصر الحديث فى هذه المحاضرة على توضيح عقيدة الثالوث من خلال نصوص القداسات الإلهية المستخدمة فى صلواتنا الليتورجية غير أنه يمكن أن نجد عبارات أخرى توضح هذه العقيدة الهامة فى نصوص ليتورجية أخرى مثل نصوص صلوات أسبوع البصخة المقدسة والإبصلمودية وغيرها.





د. جوزيف موريس فلتس

لقد حفظ لنا التقليد (التسليم) الكنسى، الإيمان الذى تسلمته الكنيسة من المسيح بواسطة الرسل والآباء القديسين، ومنذ وقت مبكر جداً نجد أن هذا التقليد يثبت وبإستمرار عقيدة ألوهية الروح القدس إذ هى مرتبطة إرتباطـاً وثيقـاً بعقيدة الثالوث الأقدس، وكما درسنا عقيدة الثالوث من خلال النصوص الليتورجية سندرس أيضاً هنا عقيدة ألوهيـة الروح القدس من خلال هذه النصوص ولقد تعرض أقنوم الروح القدس، وهو الأقنوم الثالث من الثـالوث الأقـدس، لهجوم حاد من الهراطقة فى القرون الأولى من المسيحية الأمر الذى تصدى له آباء الكنيسة الكبـار مثـل العلامـة ديديموس الضرير والقديس أثناسيوس الرسولى بابا الإسكندرية العشرون[١] والقديس باسـيليوس الكبيـر أسـقف قيصرية[٢] والقديس غريغوريوس اللاهوتى[٣] والقديس امبروسيوس أسقف ميلان[٤] وغيرهم. بل أن الكنيسة عبرت عن إيمانها بالروح القدس وعمله فى الكنيسة من خلال التحديد الذى أقره المجمع المسكونى عام ٣٨١م ذلك التحديد الذى أضيف إلى ما أقره المجمع المسكونى الأول عام ٣٢٥م فى نيقية والخاص بـأقنومى الآب والإبـن، وجـاءت النصوص الليتورجية بعد ذلك لكى تعّبر وتؤكد على هذا الإيمان أى الإيمان بألوهية الروح القدس كما ورد فى النص النهائى لقانون الإيمان أو فى الصلوات والذكصولوجيات فأعطت هذه النصوص للروح القدس المجد والكرامة والعزة والسجود مع الآب والإبن معبرة بذلك عن إيمان الكنيسة بوحدة الجوهر الإلهى للأقانيم الثلاثة ومؤكدة فعـل الـروح القدس الإلهى فى كل شخص وكل سر من أسرار الكنيسة.

نشأة وتطور الهرطقات التى أنكرت ألوهية الروح القدس :

لا يمكن أن نفصل هرطقة إنكار ألوهية الروح القدس عن هرطقة إنكار الوهية الإبن التى نادى وعلّم بها أريـوس فى بداية القرن الرابع الميلادى.

فلقد تضمنت تعاليم الأريوسين تعليماً أنكرت الوهية الروح القدس وأقنوميته أيضاً، غير أنها ركزت فى بداية الأمر على إنكار ألوهية الإبن. إستمراراً للهجوم الذى تعرض له "لاهوت الإبن" من قبل هرطقات كثيرة منذ القـرن الثـانى الميلادى.

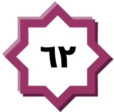
---

[١] الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، إصدار مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٩٤.

[٢] الروح القدس للقديس باسيليوس الكبير، إصدار الكلية الإكليريكية بطنطا - ١٩٨٠.

[٣] خطبة رقم ٥ عن الروح القدس ضمن خطبه اللاهوتية الخمس إصدار المكتبة البوليسية - لبنان ١٩٩٣.

[٤] الروح القدس للقديس امبروسيوس: إصدار مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٨٤م.



ويعبر القديس أثناسيوس الرسولى عن موقف الأريوسين من عقيدة ألوهية الروح القدس فيقول: "إن هذا التفكيـر ليس غريباً على الأريوسيين لأنهم إذ أنكروا كلمة ا فإنه من الطبيعى أن ينطقوا بنفس التجـديف ضـد روحـه"[5]. وبينما كانت الكنيسة تنعم بإنتصار العقيدة الأرثوذكسية فى المجمع المسكونى الأول ٣٢٥م وإقرار قـانون الإيمـان النيقاوى كان المعارضون لتحديات هذا المجمع يحاولون الدفاع عن أنفسهم وآرائهم الفاسدة متخذين مـن "عقيـدة" تنكر على الروح القدس ألوهيته معقلاً دفاعياً أخيراً. وتمثلت الهرطقات التى أنكرت ألوهيـة الـروح القـدس فـى مجموعتين:

١- التروبيكون Τροπικοι :

هذا الإسم اليونانى الذى أطلقه القديس أثناسيوس على المجموعة التى أنكرت ألوهيـة الـروح القـدس، يعنـى "المحرفون" حيث كانوا يقومون بتفسير آيات الكتاب المقدس فى غير سـياقها محـرفين معناهـا لتـدعيم أفكـارهم الخاطئة. ظهرت هذه المجموعة فى مصر وقد كانوا أولاً ضمن الجماعة التى حاربت قانون الإيمان النيقـاوى فيمـا يختص بألوهية الإبن ثم انفصلوا عنهم عام ٣٥٨م منكرين ألوهية الروح القدس. ولقد فضى القديس أثناسيوس على أفكارهم الخاطئة، وفى مجمع محلى بالإسكندرية عام ٣٦٢م تمت إدانة تعاليمهم التى نادت بأن الروح القدس مخلوق من العدم وأنه ملاك أعلى من بقية الملائكة فى الرتبة وإن كانوا يحسبونه ضمن الأرواح الخادمة (عب١٤:١) ونتيجة لذلك فهو بَحسب رأيهم من جوهر مختاف عن جوهر الآب والإبن كما أنه لا يشبه الإبن.

٢- المقدونيون :

فى الربع الأخير من القـرن الرابـع المـيلادى ظهـرت مجموعـة أخـرى عرفـت بإسـم محـاربى الـروح πνευματομαχοι واشتهرت بالمقدونيين على إسم مقدونيوس أحد أساقفة القسطنطينية مركز تجمـع أغلـب أتباع هذه الهرطقة.

لم يدعو المقدونيوس الروح رباً، كما أنهم رفضوا أن يمجد مع الآب فبالنسبة لهم، الروح القدس، ليس عاملاً مع ا συνεργος وذلك لأنه لا يخلق ولا يعطى حياة.

الروح القدس حسب تعاليمهم هو مثل الملائكة خادم υπηρετης وأداة οργανο له ومع ذلك لا يعتبر ملاكاً وهو غير مشابه للآب والإبن فهو إلهى θειον ولكنه ليس إلهاً θεος، هو مبتدئ ولكنه ليس مخلوقاً[6].

النصوص الليتورجية والوهية الروم القدس :

سبق أن أشرنا إلى أن التقليد (التسليم) الكنسى قد حفظ لنا الإيمان الذى تسلمته الكنيسة مـن المسـيح بواسـطة الرسل والآباء القديسين. ومنذ وقت مبكر نجد أن هذا التقليد يثبت بإستمرار عقيدة ألوهية الروح القـدس، إذ هـى

---

[5] الروح القدس للقديس أثناسيوس ترجمة الدكتور موريس تاوضروس الدكتور نصحى عبد الشهيد: مركز دراسات الآباء مايو ١٩٩٤، رسالة ١ - فقرة ٢ ص ٢٩.

[6] المرجع السابق - المقدمة ص ١١.



مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بعقيدة الثالوث الأقدس، ويتضح هذا الإستمرار فى تعاليم الآباء الرسـوليين كمـا يظهـر فـى الممارسات والطقوس التى كانت تجرى فى الكنيسة الأولى سواء كانت من خلال نصوص مكتوبة أو بطريقة شـفهية وتناقلها المسيحيون عبر العصور.

ومن أهم هذه الممارسات والطقوس والصلوات الخاصة بتقديس القرابين فـى القـداس الإلهـى والتـى تسـمى بإستدعاء الروح القدس وهذه الصلوات وصلت إلينا بدون انقطاع منذ عهـد الرسـل، كـذلك صـلوات المعموديـة والتغطيسات الثلاثة والتماجيد (الذكصولوجيات) والبركة الرسولية المعطاة باسم الآب والإبن والروح القدس.

وفى دفاعه عن ألوهية الروح القدس يستعين القديس باسيليوس الكبير بهذه الطقوس والممارسات لكـى يواجـه الأفكار الخاطئة لأصحاب هرطقة محاربى الروح مستنداً إلى ان هذه العقائد قد تناقلت من فم إلى فم بـين المعمـدين تحت طابع السر ولم تكن يوماً موضوعاً لتحديد أو إعلان من قبل الكنيسة، غير أن عامـل اشـتداد الصـراع مـع الهرطقة، أدى إلى تطور هذه النصوص الليتورجية، فأضيفت نصوص أخـرى وصـلوات تتضـمن أمـوراً إيمانيـة وعقائدية، ولنفس السبب أيضاً بدأت الكنيسة تلاوة الصلاة الربانية وقانون الإيمان بما يحوى من تحـديات لاهوتيـة صاغتها المجامع المسكونية الأول والثانى، وذلك بصورة علانية خلال ممارستها الليتورجية بعد أن كان يتلـى أمـام الأسقف فقط عند ممارسة طقس المعمودية، كما ظهرت الذكصولوجيات والتى هى من أرفع النصوص العقائدية فـى مواجهة مؤلفات الهرطقة.

فالليتورجيا إذاً، كجزء من التقليد (التسليم)، تحفظ لنا عقيدة الكنيسة عن ألوهية الروح القدس كما يتضـح مـن خلال التركيز على الأمور الآتية:

١- إعطاء المجد والكرامة مع الآب والإبن :

"المجد للآب والإبن والروح القدس" هذه الذكصولوجية قديمة جداً فى الكنيسة وتؤكـد وحدة الجوهر الإلهى للثالوث الأقدس مع تمايز الأقانيم. وقد دافع القديس باسيليوس عن ألوهية الروح القدس مستشهداً باستخدام هذه الذكصولوجية منذ القـدم فـى الكنيسـة فوصف الروح القدس بأنه ομοτιμιος أى مساوى فى الكرامة والمجد للآب والإبـن. والـــــى اليـــــوم نـــــردد فـــــى القـــــداس الإلهـــــى وكـل صـلواتنا نفـس هـذه الذكصـولوجية ونعطـى المجـد والسـجود للـروح القدس مع الآب والإبن قائلين: "نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس".

وأيضاً فى صلاة رفع البخور يقول الكاهن: "مجداً وكرامة كرامـة ومجـداً للثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس".

وفى أوشية القرابين فى رفع البخور يردد الكاهن فى ختام الأوشية قائلاً: "لأنه مبـارك وممـلوء مجـداً أسـمك القدوس أيها الآب والإبن والروح القدس".

٢- وحدة الجوهر الإلهى للأقانيم الثلاثة دليل ألوهية الروح القدس :

تعتبر صلوات الليتورجيا عن هذه الحقيقة بإستمرار وتذكر بكلوضوح أن الروح القدس هو ομοουδιος أى واحد فى الجوهر مع الآب والإبن.

والجدير بالذكر أن القديس باسيليوس فى مواجهته لهرطقة محاربى الروح الذين أنكروا ألوهية الروح القدس قد تحاشى استخدام هذا التعبير المشهور والذى استخدمه من قبل القديس أثناسيوس الرسولى ليعبر به عن وحدة الجوهر الإلهى بين الآب والإبن فى محاربته للآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الإبن. والسبب فى تحاشى باسليوس استخدام هذا التعبير هو أن تعبير (هو موأوسيوس) لاقى مقاومة كبيرة من الأريوسيين وأتباعهم فبحكمة شديدة استخدم ق. باسليوس تعبيرات أخرى ليؤكد بها ألوهية الروح القدس وهى تعبيرات.

Προδυνουγται, Συνδοξαζοντα, ομοτιμα

أى المتساوون فى المجد، الممجدون معاً، والمسجود لهم معاً

وذلك لتحاشى تفاقم المشكلة مع جماعات محاربى الروح. غير أن نص الليتورجيا يتضمن تعبير (هو موأوسيوس) الواحد فى الجوهر وفى أكثر من موضع، وتفسير ذلك هو أن المصلين الذين يؤمنون بوحدة الجوهر الإلهى بين الآب والإبن، وقد اعتادت مسامعهم على هذا التعبير لن يجدوا أية صعوبة فى ترديد نفس المصطلح ليعبر عن وحدة الجوهر الإلهى للروح القدس مع الآب والإبن وبالتالى ليعبر عن ألوهيته.

لهذا نجد أن القداس الإلهى يضع أمامنا هذه الجملة لنختم به صلواتنا وطلباتنا "هذا الذى من قبله المجد والكرامة والعزة والسجود تليق بك معه مع الروح القدس المحيى المساوى لك".

وأيضاً "هذا الذى أنت مبارك معه مع الروح القدس المحى المساوى لك"، وتتكرر هذه عبارات (٢٠) مرة خلال قداس الإلهى، ونجدها أيضاً فى تحليل صلاة باكر، الغروب، والنوم، وغيرها.

٣- الروح القدس رب محيى :

تعبير أخر تؤكد به الليتورجية على ألوهية الروح القدس هو تعبير أن الروح القدس "محيى" ζωοποιος فا وحده هو الحياة وهو فقط القادر على أن يعطى الحياة فأن كان السيد المسيح قد قال عن نفسه أنا هو الطريق والحق والحياة، فالروح القدس بسبب وحدة الجوهر الإلهى للأقانيم الثلاثة فهو روح الحياة(٧).

وفى صلاة الساعة الثالثة نصرخ للروح القدس قائلين: "أيها الملك السماوى روح الحق... كنز الصالحات ومعطى الحياة.."، ويضاف هذا التعبير أيضاً فى قانون الإيمان حيث نردد قائلين: "نؤمن بالروح القدس الرب المحى"، وفى تحليل الساعة السادسة أيضاً...

---

[٧] وهذا رداً على المقدونيين أنظر المقدمة.

٤- كمال الثالوث :

وألوهية الروح القدس ومساواته فى الجوهر لأقنوم الأب والإبن يجعل الثالوث كاملاً فلا الإبن أقـل مـن الآب ولا الروح القدس أقل من الإبن. الروح القدس، الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، ينبثق من الآب بغير إنفصال. لا يوجد أى إنفصال بين أقنوم وأخر، لكن يوجد تمايز فى الأقانيم، هذا التمايز فى الأقانيم مـع كمـال الثـالوث تعبـر عنـه الليتورجية قائلـة: "لأنـه مبـارك الآب والإبـن والـروح القـدس الثـالوث الكامـل... نسـجد لـه ونمجـده"، "Ⲭⲉ ⲉ̀ϥⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ.. ⲉⲧϫⲏⲕ ⲉⲃⲟⲗ".

٥- عمل الروح القدس بالإشتراك مع الآب والإبن :

يقول القديس أمبرسيوس فى كتابه عن الروح القدس: "وإذا كان كل مخلوق قابل للتغيـر ألا أن الـروح القـدس صالح وغير قابل للتغير، ولا يمكن أن تخضع طبيعته للتغير الناتج عن الضعف أو الخطية، لأنـه هـو الـذى يغفـر الضعفات كلها ويمحو الخطايا، وكيف يكون خاضعاً للتغير وهو الذى بالتقديس يعمل فى المخلوقات، ويغيرها بالنعمة دون أن يتغير هو نفسه"[(٨)].

وهذا معناه أن الروح القدس فى طبيعته يختلف عن بقية المخلوقات وهو ليس مـن المخلوقـات القابلـة للتغيـر بطبيعتها لأن كل ما هو مخلوق هو متغير. الروح القدس رب، وإله بالطبيعة وغير متغير، وبالتالى فالصلاح فيه غير متغير لأنه ناتج من طبيعته غير المتغيرة ولهذا فهو يقدس المخلوقات ولا يتقدس.

وعمل الروح القدس الإلهى لا يخص الروح القدس وحده بل يخص الآب والإبن أيضاً وذلك بسبب وحده الجـوهر والقوة والمجد والعمل. فالكنيسة تضع فى صلوات الساعة الثالثة هذه الصلاة الرائعة التى تثبت ألوهية الروح القدس وعمله فى نفس الوقت متذكرة ساعة عمله الإلهى فى التلاميذ فى نفس تلك الساعة. معترفة بألوهيته كملك سـمائى معزى، روح الحق الذى لا يحده مكان بل الحاضر فى كل مكان، وفى عبارات دقيقة وعميقة وذات مفهوم لاهـوتى، تخاطب الروح القدس بأنه "كنز الصالحات"، "معطى الحياة".

ولأنه هو كذلك فإننا ندعوه مباشرة ليمارس عمله الإلهى والذى لا يستطيع أى من المخلوقات القيام بـه فنقـول: "هلم تفضل وحل فينا، طهرنا من كل دنس أيها الصالح وخاص نفوسنا".

وهكذا تنقل لنا الليتورجيا الإيمان كله عبر عصور الكنيسة، وتحفظ لنا وجدان الآباء وحسهم السليم، فهى خبرة لا يمكن نقلها بالكلام وإنما بالممارسة والتذوق الدائم لشركة الثالوث.

---

(٨) **القديس امبروسيوس** : الروح القدس ج١: الفصل الخامس فقرة ٦٤.



أ. جورج عوض

مقدمة :

إن المشاكل الإجتماعية هى موجودة فى كل عصر، والناس يواجهونها بطرق مختلفة. والتاريخ يعلمنا أن المشاكل الإنسانية تّوحد الأمم، أما السياسية فهى على العكس تفرق. توجد نظريات حديثه لتفسير وحل المشاكل الإجتماعيـة ولكن تتناقض مع بعضها فى أمور كثيرة. ولو فحصنا أى نظرية إجتماعية أو إقتصادية، لوجـدنا أن ورائهـا مبـدأ ساوكى أخلاقى فى الحياة.

إن المشكلة الإجتماعية. كما يقول الأب جورج فلورفسكى "تواجه دائماً كمشكلة خلقية، لكـن السـلوك الأخلاقـى يؤسس على العقيدة، على عقيدة التجسد والفداء بواسطة الصليب"[(١)].

إن تاريخ الإنسان فى جوهره هو المسيرة الأخلاقية للإنسان فى علاقته مع خالقه، وليس تاريخ الحالة الإقتصادية والسياسية[(٢)].

ولكن للأسف فإن الأقتصاد والسياسى هو سيئ وشرير لأنه يرى الإنسان كمنـتج أو مسـتهلك إذ يعتبـر الـدافع والمحرك الوحيد له هو المصلحة لذا فإن الإقتصاد والحر يتبنى الفردية[(٣)] كأساس له، أما الأقتصاد الموجـه يتبنـى مراعاة المجتمع (البعد الإجتماعى). وهكذا يفسر كارل ماركس نظرية سيطرة رأس المال على أساس المادية التاريخية، بينما ماكس فيبر weber على أساس الديانة. ونعتقد أن دوافع التضاد بين النظريات المختلفة ينتج من رؤية - وتفسير العلاقات :

أ- بين المادة والروح.

ب- بين الأنا والأنت (سواء كان الله أو الآخرين).

---

(١) Georges Florovsky, The social probleme in the Eastern orthodox church, in “The Jovrnal of Religion thought, t.vIII, No١ , Autummwinter, ١٩٥٠-١٩٥١.

(٢) Σ. Αγουριδον, Η μαρξιστικγ ανθρωποлоγ ια απο χρι στιανικγ 6καπια, 6το π. Συνορο 1966, (νο31), 63λ. 141.

(٣) Ρ. Γκαρωντυ, Ανθρωπγ νος λοιος, μετ. Δ. ΜπιτΖιλεμη (εκδ, παπυρ ος, σειρα Βιπερ 614. Αθηναι 1976, 6ελ. 62.



وهكذا تخلق صراعات وتناقضات، ليس فقط فى النظريات الإقتصادية والإجتماعية، لكن فى نظريات العلوم الأخرى مثل علم النفس والأخلاق. لكن هذه التناقضات تظهر قبل كل شئ فى المستوى العملى، أى فى الحياة اليومية والإجتماعية والإقتصادية.

لكن هناك سؤال يفرض نفسه: هل يمكن أن تنسجم هذه المتافضات بين هذه النظريات، وأول كل شئ فى الحياة العملية - وذلك لكى يحصل الإنسان على اليقين والهدوء والسعادة فى حياته العملية؟

فقط المسيحية يمكن أن توفق بين تناقضات النظرية (التعليم) والحياة (السلوك الخلقى) أى بين διδα6καλια والـ ηθος . المسيحية تعطى توافق إيجابى بين الروح والمادة، بين الأنا والأنت. وينتج من هذا التوافق فاعلية نمو القدرات الخلاقه فى نفس الإنسان العابدة . وهكذا عن طريق الإيمان المسيحى الأصيل، والحياة المسيحية الأصيلة والتى تغطى الهوة بين النظرية والعمل يعطى الحل الأفضل للمشاكل الإجتماعية. وإذ يعطى التوافق وبالتالى اليقين للتعليم والفرح فى الحياة العملية. لذلك نأمل فى أن دراسة الحياة الإجتماعية عند الآباء، يمكن أن تساهم فى حل المشاكل الإجتماعية.

١- البعد الإجتماعى فى الكنيسة الأولى :

لقد كانت الحياة فى الكنيسة الأولى إجتماعية، وهذا يظهر من الحياة العائلية التى كانت للجماعة المسيحية الأولى، حياة الشركة كما وصفها لنا سفر أعمال الرسل[٤]. كانت إدارة الكنيسة مؤسسة على المساواة بين الأعضاء، بين الطبقات الإجتماعية المختلفة للأجناس والأمم "ليس يهودى ولا يونانى. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨).

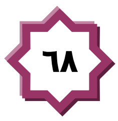
أن المساواة فى إحترام الشخصية الإنسانية، ونمو محبة الواحد للآخر هما كـإعلان لمحبة المسيحية. فالبعد الإجتماعى للكنيسة لم يتأسس على نظريات إجتماعية. بل على إيمان الكنيسة بالثالوث القدوس، فهى تحاول أن تتشبه بعلاقة الأقانيم فى الثالوث، الوحدة والتمايز وذلك فى المحبة التى لا تطلب ما لنفسها، المحبة التى جعلت الإبن يبذل نفسه لأجلنا. أيضاً تأسس البعد الإجتماعى على اشتراك المؤمنين فى ملكوت ا على الأرض. لكن يظن الإنسان الذى لا يؤمن با ولا بالحياة الأبدية أن الإيمان يعيق نمو وتطور الحياة الإجتماعية للإنسان. هذا الظن خاطئ، لأن الإيمان بالأبدية لا يقلل من أهمية الحياة الأرضية بل يزيدها، إذ تعطى قيمة أبدية للمحاولات التى يساهم بها الإنسان لكى يقدم عدل ومحبة[٥].

٢- طبيعة المجتمع المسيحى :

تظهر المشاكل الإجتماعية من المصاعب التى يجدها الإنسان فى العالم المادى وفى الحياة الروحية، المسيحية تعلم كيف أن الصعوبة الأولى لآدم وحواء كانت نتيجة الخطية الأولى، فمثلاً آدم بعد الخطية الأولى خاف وأختباء، حاول

[٤] Aϒ ουριδου, Ηκοινοκτημοϑυνη, εν τη πρωτη Εκκληϭια, θε/νικγ 1963.

[٥] Emolio pim, in unesco, i٦topia, tomos ٦٠s el. MetafraLis, Aqgna ١٩٧٠, ٦el, ٥٠٨٣.



أن يتجنب المسئولية قائلاً: "المرأة التى أعطتها لى أعطيتنى وأكلت" (تك ٣: ٨-١٢). هكذا هناك مشكلتين أساسيتين: المشكلة الإقتصادية والمشكلة الجنسية "وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون إشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لإنك سمعت لقول أمرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها. لأنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٦-١٩).

لقد كانت هناك علاقة إجتماعية بين الزوجين الأولين قبل السقوط فى الخطية الأولى. فآدم مثلاً طاب رفيق له. ϭ°ϒνтpο†ο، لأنه "لم يجد شبيه نظيره"، وا قرر "أن يخلق معيناً نظيره، وأعطاه حواء زوجه". عندئذ شعر آدم فوراً بالرضى لغريزته الإجتماعية والتى ظهرت فى تعبيره "هذه عظم من عظامى ولحم من لحمى.." (تك ٢: ٢٠). إذن المسيحية تعلم بأن تعاسة الإنسان كانت نتيجة الخطية الأولى (السقوط) والتعاسة تظهر فى المشاكل الإجتماعية، والحل الناجح لهذه المشاكل الإجتماعية سيكون نتيجة رفع التعاسة (الصعوبات) وبذلك نتائج الفداء من الخطية. بناء على ذلك فإن الحل الكامل والحقيقى للمشاكل الإجتماعية هو لدى المسيحية : فداء الإنسان من الخطية، والعطية التى تمنحها المسيحية للإنسان هى "الخليقة الجديدة" وملكوت ا وذلك بالميلاد الثانى للإنسان، الأمر الذى يفيد الطبيعة المادية إذ ستتجدد وستخلص من التعاسه التى هى نتيجه سقوط الإنسان فى الخطية لأن "الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن" (رو ٨: ٢١)، "ولكننا بحسب وعدة تنتظر سموات جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر" (٢بط ٣: ١٣)، أيضاً أنظر غريغوريوس النيسى P.G. ٤٤, ٤٨٥C.

وكما أن "سقوط الإنسان لم يكن نتيجة عوامل تاريخية، كما يؤكد البروفيسور سافا أغوريدس أستاذ العهد الجديد بجامعة أثينا هكذا فإن فداء الإنسان لن يكون عن طريق التملك وزيادة الإنتاج وتوزيع الثروات، لكن على العكس، فداء الإنسان يعتمد على تحرر الإنسان من الضلال، من الخلط والمزج، بين الخير والشر، العدل والظلم، التحرر من الخوف من ذاته ومن الآخرين. وهكذا فإن تحرر الإنسان هو قبل كل شئ مسألة نعمة إلهية"[٦].

إن الربط بين علم الاجتماع والمسيحية، قُبل فى البداية على أنه أمر غير طبيعى، إذ معروف كيف أن من إن علم الإجتماع يرفض الميتافزيقية[٧].

لكن ماكس فيبر Max. weber أظهر تأثير الديانة على السلوك الإقتصادى[٨].

لقد إنشغل ماكس فيبر بالتأثير الدينى (من أتباع كالفن) روح الرأسمالية.

أيضاً إن Serg. Bulgakoff يؤكد كيف أن الديانة "تؤثر بعمق على الحياة الإقتصادية".

وأستاذ علم الإقتصادية والإجتماع ألفريد مولر يؤكد أيضاً على تأثير الأرثوذكسية الشرقية على الحياة الثقافية خاصة على الحياة السياسية والإقتصادية للشرق.

---

(٦) المرجع السابقة ص ١٤١.

(٧) G. Bouthovl, ١٦topia tη's koivwvioλoϒias, Athems ١٩٦٥, p.٤٦.

(٨) Δ.I. kpikωvη, Ai ΠEpi θpηϭkia koivwvioλoϒikai, Athens ١٩٧٤, p.٤٤.



إن هذا الربط يساعد على إظهار أساس المشاكل الإجتماعية، وهكذا نجد الطريق ممهـد لحـل هـذه المشـاكل. فالمسيحية ليست هى برنامج إصلاح إقتصادى أو إجتماعى أو سياسى أو إجتماعى. المسيحية هى طريقة تفكير، إنها إيمان ينطلق من فوق (السماء) وينزل على الأرض وسينتهى أيضـاً إلـى السـماء أى لـه ملمـح إسـخاتولوجى (متيافيزيقى). البعد الأسخاتولوجى (المتيافيزيقى) هو عنصر هام للإنسان، لأن تعريه الحياة مـن التوجـه نحـو ا يتساوى مع هجران جوهر هذه الحياة فالعالم لو ظل عالم بشرى فقط يهتم بالحاضر وليس له أى تطلع إسخاتولوجى، يتحول إتوماتيكيا إلى عالم لا إنسانى. فعندما يخفى الإيمان بالحياة بعد الموت يصير الإنسان عدم. لكـن المسـيحية بخلاف الملمح الأسخاتولولجى، فإن لديها ملمح أرض، عالمى، وعملى وحقيقى. إن تعليم الرب عن الدينونة العتيـدة فى (مـت ٢٥: ٣١-٤٦) توضح أن مقاييس ومعايير أعمال الإنسان المؤمن بالمسيح، هى أرضية. هى أرضاء الإحتياجات المادية للإنسان. أى المواجهة الحقيقة للحالة الإنسانية على الأرض. وبينما هذه الحالة الحقيقة الواقعية هى أرضية وبالتالى هى وقتية، فبالإيمان المسيحى تأخذ البعد الأبدى حتى بعد الموت. إن خلاص النفس الإنسانية يستلزم إيمان، لكن إيمان يعبر عنه بأعمال "بالأعمال نعترف با "، لقد تزين كل القديسين بالأعمال الحسنة، وكمـا يقـول القـديس مقاريوس المصرى: "لا توجد طريقة أخرى لكى يخلص الإنسان ألا فقط بواسطة القريب". فى الحقيقـة، فـأن علـم الإجتماع ينشغل بالإنسان الذى هو الموضوع الأساسى للمسيحية، لكن المسيحية تنشغل بالإنسـان ككـل أمـا علـم الإجتماع فإنه ينشغل مشاكل الإنسان الإجتماعية. وبناء على ذلك فإن الـربط بـين التعاليـم المسـيحى والمشـاكل الإجتماعية ليس فقط غير متوافق ولكن هو رباط متجانس تجانساً كاملاً، حيث أن هذا الربط يعطى إتساع للنظر إلـى المشاكل الإجتماعية تحت نور التعاليم المسيحية. المسيحية بالتأكيد لا تفرض نظريات إجتماعية وإقتصـادية محـددة من أجل حلول للمشاكل الإجتماعية لكن نجد أنها تحل بعض المشاكل الإجتماعية المعينه التى ظهرت فى عصر معين، فمثلاً المشكلة الإقتصادية التى كان يعانى منها أعضاء الكنيسة الأولى قد حلت تماماً بالمحبة وحياة الشـركة. أيضـاً الرهبنة فى الشرق قد أعطت حلولاً لمشاكل نفسية لبعض أعضاء الكنيسة بخصوص قضية الفقر والجنس والعزلـة. الحل هو الخضوع والنقاوة، وحياة عدم التملك. والمسيحية، فيما عدا الحلول المعينة لقضايا معينة فى عصر ما، تنير الطريق لكى توجد حلول دائمة، إذ تمهد الإنسان لكى يواجه مشاكلة الأساسية، بما فيها الإجتماعية، وتلهم فى نفـس الوقت، بتعاليمهما الإنسانية لكى تجد حلولاً دائمة وسعيده.

وهكذا فإن المسيحية تخلق فى الإنسان الإستلزامات الملائمة لكى يواجه مشاكله، وهى الآتى:

١- تحرر الإنسان من عبوديته للأنا، وذلك بالتعليم عن إنكار الذات وبذل النفس من أجل الآخرين.

٢- تربط الإنسان بالرب يسوع الذى بواسطته يصنع الإنسان شركة مع كل البشر، كأخوة، طالما هم أبنـاء الآب، وتعلم الإنسان أن يحب الكل حتى أعداه.

٣- المسيحية تضع هدفاً عظيماً وهو تقديس الإنسان، وأيضاً تجدد معه الكون (*العالم المادى والروحى*)، لذا ترمـى المسيحية إلى الكمال الروحى والأخلاقى، وذلك بالتعليم عن ملكوت ا . لكن لا تعطى حلولاً أستاتيكية، جامـدة. بـل تدعوا الإنسان للجهاد المستمر للوصول إلى هذه الغاية. وفى نفس الوقت تعطى للإنسان عـزاءً للإخفاقـات أثنـاء



التطبيق العملى لتعاليمها، وتؤكد على النجاح الكامل لتعاليمهما، المؤسس على الإيمان والرجاء إذ تنادى بأن الـرب يسوع البكر قد إنتصر، إذن علينا نحن أن ننتصر "ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦:٣٣).

محتوى التعليم الآبائى عن الحياة الإجتماعية :

أن المسيحية ديانة لا تكتفى بإعطاء تعاليم نظرية بل تعطى أيضاً طريقة للسلوك فى الحياة، هذه الطريقـة تعتمـد على ثلاث فضائل: الإيمان، الرجاء، المحبة. ليست ببساطة مجرد تعاليم لكن حياة. لذلك فإن القديس نيلوس يقـول: "إننا نختلف عن غير المؤمنين لأننا لنا تقييم مختلف عن الأمور. الوثنى يرى الغنى ويظل يتعجب من عظمته، لكننى أرى الغنى وأحتقره وأضحك. يرى هو الفقر فيسب ويبكى أما أنا أرى الفقر وأقفز فرحاً وإن يرى المسيحيون الأمور بطريقة مختلفة عن غير المؤمنين"[٩] هناك أربعة أسئلة، نجد لها إجابة عند الآباء وهم :

١- هل الإنسان لدية قدرة على حل مشاكلة الإجتماعية بمفرده؟

٢- هل يستطيع الإنسان أن يؤثر على العالم المادى بالإيمان المسيحى وبالحب يؤثر على الآخرين؟

٣- هل الإيمان يخاص الإنسان أم الأعمال؟

٤- ما هو الهدف المعين للإنسان؟

١- هل الإنسان لدية قدرة على حل مشاكلة الإجتماعية بمفرده؟

لقد شعر الإنسان بعد السقوط، بضعفه، وقد عبر القديس بولس عن هذه الحقيقة قائلاً: "لأنى لست أعرف ما أنـا أفعله أذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإنى أصادق الناموس أنه حسـن. فالأن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ.." (رو ١٥:٢٠).

أى أن الانسان وهو يعانى ضعفاً فى إرادته، يفعل هذا الذى لا يريده لأن :

١- ذهنه قد أظلم نتيجة للخطية وأصبح أنانى.

٢- الإنسان فى علاقاته مع ا ، لا يعرف ماذا يفعل، ومرات كثيرة ينتهى إلى الإخفاق مع أن استعدادته ومقاصده هى صريحة (يريد لكنه لا يستطيع). لكن كل من يؤمن بالمسيح يعترف بضعفه ويلجأ بالتوبة إلى ا القادر على كل شئ.[١٠] ويقول ذهبى الفم: "إن هؤلاء الذين يحبون الله يستفيدون حتى من الأمور الضارة أما أولئـك الـذين لا يحبونـه فإن الأشياء المفيدة تصيبهم بالضرر. المسيحى المولود ثانية، متأكد أنه سينتصر على كل المعوقات يؤمن بكلام الـرب"، "ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦:٣٣)، إذ أن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله" (لـو ١٨:٢٧). ويضيف القديس ذهبى الفم حيث الروح القدس حاضر، يتغير الأنا الفخارى (الإنسان) إلى ذهب المسيحى إن المسيحى متأكد المولـود ثانية مقالد بإنه سوف يحل كل المشاكل الإجتماعية ليس لأنه لديه قدرات لكن بنعمة ا . أما غير المؤمن فأنه نخفق فى حل المشاكل الإجتماعية، وعندما يفشل لا يستطيع أن يرى الأسباب العميقة لإخفاقه (أى الخطيـة وغيـاب الشـركة بينه وبين الله)، ويظل عائشاً فى صراع وقلق.

---

[٩] PG ٦٠،٦٦٠.

[١٠] P.G ٧٩،١٦٥.



٢- هل يستطيع الإنسان أن يؤثر على العالم المادى بالإيمان المسيحى، وبالحب يؤثر على الآخرين؟

هذا الموضوع يخص علاقة الروح بالمادة. أول كل شئ، يؤكد القديس أثناسيوس الرسولى: "للطاهر فإن كل شئ طاهر إذ أنه عمل الله"(١١)، و"الجهال وغير المؤمنين، لأنهم يبغضون الجسد.. فهم يريدون التخلص منه"(١٢).

على الجانب الأخر فإن ا "قد منح الجميع بالتساوى القيم الروحية والمادية" (ذهبى الفم PG59,102).

أيضاً يؤكد اكيمنضس الإسكندرى أن "المخاص مثلما يشفى شهوات النفس، هكذا يشفى شهوات الجسد، لأن العدو ليس الجسد بل الشيطان"(١٣).

إن الإنسان غير المؤمن، بعد السقوط، بعمله الدؤوب لكى يتعرف على الطبيعة المادية، قد نجح فى أن يفعل طلبة خالقة "وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض..." (تك ١:٨). لقد نجح فى التأثير عليها، لكن تقدمه فى الأمور الجوهرية والهامة هو صغير جداً. هذا الإنسان ضعيف ومعرفته أولية، ونقطة ضعفه العظيمة هى أنه لا يعرف حدود قوته وضعفة، إذ يظن أنه يستطيع أن يؤثر تأثيراً كاملاً على الطبيعة المادية بمعرفته فقط.

أما الإنسان، المولود ثانية، يستخدم أيضاً معارفه البشرية ويفلح فى السيطرة النسبية على الطبيعة المادية، ولكن لا يتوقف عند هذا الحد، لأنه يمكن أن يصل إلى أكثر من ذلك، مستخدما بالتأكيد القوة الإلهية. إنه يعرف حدود الضعف البشرى، لكن يعرف منبع القوة، أى ا . التعامل السوى مع الطبيعة المادية له شروط هى :

١- الإيمان با ، فالرب قال: "لو كان عندكم إيمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل إنتقل.." (مت ١٧:٢٠-٢١).

٢- يجب أن نتوافق إرادتنا مع إرادة ا .

٣- يجب أن نشتهى كل ما يفيدنا روحياً، ويقول ذهبى الفم: "عندما يميز الإنسان روحياً، عندئذ فإن الخليقة المادية تشترك فى سعادة الإنسان(١٤) أن الحالة الروحية للإنسان تخلق حياة سعيدة، أى هى الحل النهائى للمشاكل الإجتماعية، بينما الإنسان الذى لا يقدر الحياة الروحية، لا يهمه وجود تأثير للمحبة على الآخرين. أما لدى الإنسان المولود ثانية، فإن المحبة لها قيمة مطلقة، وبالتالى يمكن أن تغير كل شئ. لقد قال الرسول بولس عن قوة المحبة" وأن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى أحترق "ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً" (اكو ١٣:٣) ويمكن المؤمن أن يؤثر على الآخرين، بطريقة غير مباشرة، أى بالصلاة "إعترفوا بعضكم لبعض بازلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها" (يع ١٧،٥:١٦) وذلك طالما أن "غير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله" (لو ١٨:٢٧) وهكذا فإن المسيحى بقوة ا يؤثر على الآخرين وعلى الطبيعة المادية.

---

(١١) ΒΕΠΕΣ ٣٣،٨١.

(١٢) κλημεντos Αλεξ, ΒΕΠΕΣ ٨،٣٢٩.

(١٣) ΒΕΠεΣ, ٤٨،٢٠.

(١٤) PG ٥٣،١٩٣.

٣- هل الإيمان يخلص الإنسان أم الأعمال؟

إن توضيح العلاقة بين الإيمان والأعمال، هو شرط أساسى للتعليم عن السـلوك الأخلاقى والإجتماعى "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع ٢:٢٠)، لذلك "لا يكفى الإيمان فقط للخلاص".

يقول القديس باسيليوس الكبير[١٥]، وبحسب القديس ذهبى الفم "المسيحى إن لم يكن لديـه حياة معيشية مستقيمة، لن يكسب شيئاً من إيمانه لأجل خلاصة"[١٦].

ويقول القديس كليمنضس الرومانى: "كل القديسين كرموا بأعمالهم الحسـنة"[١٧]، نحـن مـديونون "بتمجيـد ا بالإيمان والأعمال"[١٨].

لأن "الإعتراف بالله لا يصير فقط بالإيمان ولكن بالأعمال"[١٩].

٤- ما هو الهدف المعين للإنسان ؟

إن هدف الإنسان على الأرض هو التشبه بـا ، أى على الإنسان أن يحقق ما قاله ا عند خلقتـه "نخلق الإنسـان كصورتنا وكشبهنا" (تك ١:٢٥). لقد قال الرب: "كونوا كاملين كما أن أباكم فى السموات هو كامـل"[٢٠] (مـت ٥:٤٨) وذلك لأن الإنسان "ليس هو كامل"، هو الكائن الذى يطلب الصلاح[٢١].

إن ربنا يسوع المسيح قد أظهر لنا ذاته كوسيط بين الإنسان وا "أنا هو الطريق والحق والحياة. لـيس أحـد يـأتى إلى الآب إلا بى. لو كنتم تعرفونى لعرفتم أبى أيضاً" (يو ١٤:٦-٧).

وكنموذج للتشبه به "لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضـاً" (يـو ١٣:١٥). إن الكمال، كما يقول القديس مكاريوس: "مستتر فى صليب المسيح"[٢٢].

وهذا التعليم يؤكده الرسول بولس "فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكروننى فى كل شئ وتحفظـون التعـاليم كمـا سلمتها إليكم" (١كو ١١:١)، والرسول بطرس "لأنكم لهذا دعيتم. فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكـى تتبعـوا خطواته" (١بط ٢:٢١).

إن كمال الإنسان هو هدف حياته، إذ من جهة، الرغبة فى الكمال أو التقدم (المادى والفكرى أو الروحـى) مغروس فى الإنسان ومن جهة أخرى فإن فضيلة الكمال هى تعليم مسيحى[٢٣].

---

(١٥) PG٩٥،١٤٦s.

(١٦) PG ٥٩،١٧٦.

(١٧) BEΠEI,٢٦

(١٨) PG٥١،٢٩٠, ذهبى الفم .

(١٩) PG٥٤،٦٥٩ ذهبى الفم .

(٢٠) BEΠe٤١،١٩١, مقاريوس المصرى

(٢١) BEΠe٧،٢٠٦,المربى، كليمنضس الاسكندرى .

(٢٢) PG٦٥،٩٠٩.

(٢٣) BEΠe٧،٢٠٦ .

(٢٣) BEΠe٧،٢٠٦ .

(٢٤) PG٥٢, ٥٢٢,ذهبى الفم (٢٥)ذهبى الفم PG ٦١،١١٢,

.

ولكى يحقق الإنسان هدف الكمال فى حياته، لابد أن يجاهد بإستمرار فى حياته الأرضية لأنه ليس كامل. إذن كما يقول ذهبى الفم: الحياة الحاضرة هى لدى المؤمن حلبه مصارعة، وسباق، ومعمل للفضيلة وذلك لكى يتم إعداد النفس لإكتساب الفضائل(٢٤).

ويحذرنا القديس ذهبى الفم بأنه بدون نعمة ا فإن الإنسان لا يستطيع أن يستفيد شيئاً لأنه يتسائل القديس قائلاً: "جهادنا ضد من؟ إنه ضد قوات بلا جسد. وكيف ونحن بالجسد نستطيع أن ننتصر عليها"(٢٥).

وهكذا فإن هدف الإنسان المعين من قبل ا ، هو التشبه به، أن يتقدس الإنسان، ليصير وارثاً ويملك ملك أبدى مع ربنا يسوع المسيح كما نرى فى سفر الرؤيا، "أن القديسون سيملكون إلى أبد الآبدين" (رؤ ٥:٢٢).

إن تعليم الآباء عن الحياة الإجتماعية يساهم فى حل المشاكل الإجتماعية المعاصرة، والإيمان المسيحى كما نادى به الآباء الذين استلموا وديعة الإيمان من الكنيسة هو الحل الناجح والمفرح والمستمر لكل المشاكل الإجتماعية المعاصرة.

